الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

المفارقة في رواية "اختفاء السيد لا أحد"

لأحمد طيباوي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

- رحاب مزراق
- نورة زياني

إشراف الأستاذ

أ.د فيروز رشام

لجنة المناقشة:

1.	أ.د/ صبيرة قاسي	جامعة البويرة	رئيسا
2.	أ.د/ فيروز رشام	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3.	أ.د/ نعيمة بن علية	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023م

إهداء

إلى من أفضلها على نفسي، ولم لا، إلى من وضعتني على طريق الحياة، وجعلتني رابط الجأش

"أمي الغالية" طيب الله ثراها

إلى صاحب السيرة العطرة، صاحب الوجه الطيب، لم يبخل علي طيلة حياته

"والدي العزيز"

إلى إخوتي، وجميع من وقفوا بجواري في كثير من العقبات،

ولا ينبغي أن أنسى أساتذتي ممن كان لهم الدور الأكبر في مساندتي.

أهدي لكم بحث تخرجي هذا.

*** نـورة ***

إهداء

الى أمي الغالية وإلى أبي العزيز رمز العطاء سندي وأملي في الحياة.

وإلى أخوتي حفظهم الله.

*** رحـاب ***

المفارقة ظاهرة فنية وتقنية أدبية جديرة بالبحث والدراسة، وهي من المواضيع التي تهتم بها الدراسات النقدية والبلاغية الجديدة، التي تعمل على كشف خفايا وأسرار النص، أضف إلى ذلك أنها آلية من آليات تحليل النص الأدبي، تحظى باهتمام النقاد العرب و الغربين باعتبار انها أداة مهمة في إبراز الوجه الجمالي والدلالي للنصوص الأدبية وتؤثر في أسلوب الكاتب، ونظرا لحضور هذه التقنية في الأعمال الروائية الجزائرية، ومن بينها رواية "اختفاء السيد لا أحد" "لأحمد طيباوي"، ولكثرة المفارقات و تنوعها في هذه الرواية، ارتأينا دراستها في هذه المذكرة.

بداية البحث كانت مجرد فضول علمي، ليتحول إلى حالة من الشغف والولع، إذ أننا أعجبنا كثيرا بالرواية، وقد ركزنا على دور المفارقة ووظيفتها في التشكيل الجمالي لأحداث الرواية، وبالإضافة إلى ذلك، فإن اختيارنا للروائي الجزائري "أحمد طيباوي" كان مبنيا على أساس محاولة تسليط الضوء على رواية وأحدة من أبرز كتابات هذا الروائي الحداثي، حيث تميزت روايته بطابع التهكم والسخرية، المبنية أساسا على المفارقة، خاصة أن الروائي من هواة التجريب، وعليه فإن الإشكالية الأساسية لهذا البحث هي: ما هي انواع المفارقة المستخدمة في الرواية ؟ وما هي وظائفها التعبيرية والجمالية ؟ .

ولهذا فقد جاء البحث بعنوان "المفارقة في رواية اختفاء السيد لا أحد"، مع اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، باعتبار أنه الأنسب لطبيعة الدراسة. وقد تم تقسيمه إلى فصلين أساسيين حيث جمعنا في الفصل الأول أهم المفاهيم النظرية للمفارقة كتقنية تعبيرية أدبية، ثم درسنا في الفصل الثاني أشكال المفارقة في الرواية ووظائفها، وهو التقسيم الذي اخترناه تسهيلا وتيسيرا للبحث، حيث احتوى كل فصل على العناصر الموالية:

الفصل الأول: مفهوم المفارقة: عناصرها وأنواعها.

- تعريف المفارقة.

- عناصر المفارقة وظيفتها وخصائصها.
- أنواع المفارقة.

الفصل الثاني: أشكال المفارقة في رواية اختفاء السيد لا أحد.

- المفارقة اللفظية.
- المفارقة الرومانسية.
- المفارقة الدرامية.
- المفارقة السردية.
- مفارقة الموقف.

وبالنسبة إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث فهي تتمثل أساسا في كتاب: "المفارقة القرآنية" لمحمد العبد، وكتاب "بناء المفارقة في فن المقامات" لنجلاء علي حسين الوقاد، إضافة إلى "المفارقة وصفاتها" لدي. سي، ميويك، وبخصوص الصعوبات العلمية التي واجهتنا فتتعلق بقلة الدراسات التطبيقية المماثلة لبحثنا والتي يمكن أن نقتدي بها، إضافة إلى ضيق الوقت الذي لم يسمح لنا بالتعمق أكثر في الموضوع. وفي ختام هذه المقدمة لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتنا "فيروز رشام" على نصائحها وتوجيهاتها ونبل تعاملها.

الفصل الأول:
مفهوم المفارقة: عناصرها وأنواعها

1. تعريف المفارقة.
2. عناصر المفارقة، وظيفتها، وخصائصها.
3. أنواع المفارقة.

1- تعريف المفارقة:

1- 1 المفارقة لغة:

ورد في لسان العرب أن المفارقة: مصدر ميمي من فارق، وجذرها الثلاثي (فرق) والفرق: خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقا وفرقة، والفرق من الشيء إذا انفلق منه، ومنه قوله تعالى: {فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم} الشعراء:63. وفارق الشيء مفارقا وفراقا بيانه والاسم الفريقة [1]. أما في مقياس اللغة «الجذر فرق (الفاء، والراء، والقاف، أصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين لذلك الفرق: فرق الشعر يقال فرقته فرقا والفرق، القطيع من الغنم والفرق الفلق من الشيء إذا انفلق»[2].

وقد ذكر "الزمخشري" في أساس البلاغة أن أقرب معنى لغوي منه إلى الاصطلاحي لكلمة فرق هو «وفرق لي الطريق فروقا فانفق انفراقا إذا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما، وطريق افرق بين... ومن المجاز وقفته على مفارقة الحديث أي على وجوهه الواضحة»[3]. ويذكر أيضا أن مادة فرق معناها الفرق في الطريق والتفريق انفراقا أي اتجاهين بالطريق وتختار مسلكا محددا، ونجد في صحاح الجوهري «فرقت بين الشيئين فرقا وفرقا، الفرقان القرآن، وكل ما فرق به بين الحق و الباطل فهو فرقان»[4].

---

[1] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط2، بيروت، 1997، ص 168.

[2] ابن الفارس، مقاييس اللغة، ج4، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت ، 1999، ص 493.

[3] ينظر: أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، تح: محمد باسل عيون سود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1988، ص393.

[4] إسماعيل بن حماد، الصحاح الجوهري، دار الحضارة العربية، ط1، بيروت ، 1974، ص239.

من خلال تعريف المفارقة في المعاجم اللغوية، يتضح لنا تنوع دلالاتها، وليس لها دلالة معينة، أي يختلف معناها حسب السياق، لكنها عموما تدل على التفريق، أي التمييز بين الشيئين أو تعداد الخيارات، وفي سياقات أخرى قد يقصد بها التضاد والتنافر.

1-2 المفارقة اصطلاحا:

تنوعت تعريفات المفارقة من ناقد إلى آخر، إذ يظهر معنى المفارقة اصطلاحا في كتاب "الشعر لأرسطو" على شكل (انقلاب الحال)، حيث يقول "أرسطو": «التحول يقتضي سرعة الانقلاب مما يجعل المرء أمام أحدى حالتين متعارضتين، سخرية الأقدار أو المفاجأة ويمكن التحول حينما يصل الشخص إلى غاية أو يقع في موقف مضاد لما توقعه»[1].

وقد أشار "عبد العزيز الأهواني" إن «المفارقة إشارة التعجب من ظاهرتين متناقضتين ولكن أحداهما لا تبطل الأخرى»[2]. يقصد بذلك أن المفارقة تصيب المتلقي بحالة من الدهشة والتعجب، وذلك لحصول تناقض بين عنصر وعنصر آخر، من غير أن يكون هذا التناقض يبطل ما سبقه، لكنه بدلا من ذلك نجده يشكل دلالة تنطوي عليه.

وفي مفهوم آخر: «إن الصورة التي تنطوي على عنصرين متعارضين يتداخل تعارضهما مشكلا دلالة تنطوي على المفارقة»[3]. أما "يمنى العيد" في المفارقة الأدبية تقول: «يرتكز التأويل على مفهوم المفارقة بين الكلمات والأشكال، أو بين اللغة باعتبارها تعبير يتوسل الملفوظات الصوتية، وبين الواقع بما يعنيه من وجود مادي محسوس وتجربة معيشة، وعليه، فإن محتوى العمل الأدبي هو مجرد تصور، ولا يمكن للحقيقة التي يبنى العمل الأدبي معناها، لذا فالمعنى من

[1] قيس حمزة الخفاجي، المفارقة في شعر الرواد، دار الأرقم، ط1، بابل، 2007، ص 59.
[2] نفسه، ص60.
[3] نفسه، ص60.

هذه الوجهة، مفتوح على التعدد ربما ألا محدود، أي لا معنى»[1]. إن هذا القول يدعم مفهوم أن المفارقة، تقدم معنيين متناقضين لكن المعنى المناقض لا يبطل المعنى الآخر بل يشكل معنى دلالي جديد.

نجد الناقد "محمد العبد" يرى أن: «المفارقة تعبير انتقادي يعرض ملمحا سلبيا فيه مغالاة أو مبالغة. فيهون من شأنه، و ربما جعلت المفارقة –في الوقت نفسه – أداة تلطيفية»[2]. المفارقة تعتمد غايتها في التأثير وخلق جو المفاجأة أو الاستغراب لدى المتلقي فهي تخالف توقعات المألوف، وبذلك تكون المفارقة في ظاهرها تضادا، ولكن في باطنها جمال فني وإفادة في إضافة معنى جديد.

وفي تعريف آخر «تعتبر المفارقة بنية تعبيرية وتصويرية متنوعة التجليات ومتميزة العدول على المستويات الإيقاعية و الدلالي و التركيبية تستعمل بوصفها أسلوبا تقنيا ووسيلة أسلوبية لمنح المتلقي التلذذ الأدبي و تعميق حسه الشعري بواسطة الكشف عن علاقة التضاد غير المعهودة بين المرجعية المشتركة أو الغائبة والرؤية الخاصة المبدعة»[3]. إذن المفارقة تعتمد غايتها على التأثير، وهي تخالف توقعات والمألوف، فظاهرها يظهر تضاد إلا أن باطنها جمال فني، وإضافة معنى وإفادة.

ومن خلال التعريفات السابقة، يمكن القول أن المفارقة انزياح لغوي فلا نعني بها التهكم والسخرية والتضاد فقط، إنما هي انزياح لغوي، وخروج عن المألوف في المعنى واللفظ، فهي تخادع المتلقي بطريقة لم يتوقعها سواء باللغة أو بالمضمون، وهي تقنية ينسج بها الأديب بين ما هو باطن، وبذلك يخرج عن المألوف، وإلى جانب هذا فهي بنية تتحرك وفق مسارات عديدة لتشكل

[1] يمنى العيد، فن الرواية العربية، دار الأدب، (د،ط)، بيروت، 2011، ص 41.

[2] محمد العبد، المفارقة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1994، ص17.

[3] قيس حمزة الخفاجي، المفارقة في شعر الرواد، ص63.

دلالات عميقة تجعل القارئ محتارا بين معناها ودلالتها ليصل إلى دلالات أعمق ومعنى جديد[1]. نفهم من هذا الكلام، أن المعنى الباطن الذي تقدمه المفارقة لا يلغي المعنى اللفظي الظاهر، إنما هو يضيف دلالة فنية جميلة وجديدة.

نجد عند "نجلاء علي حسين الوقاد" أن المفارقة بنية ثرية وممتدة، وذلك لإظهار الفساد والظلم في المجتمع من الفئات المختلفة، وهذه البنية تعتمد على المفاجأة والتوتر والاحتمالات الغير المتوقعة في تقديم الأحداث وكل هذا يشير إلى طبيعة المفارقة، فالمفارقة أساس وظيفتها يتمثل في إظهار فساد المجتمع وما فيه من ظلم، حيث تغلب طبقة الأغنياء على طبقة الفقراء دائما، فتظهر صفات التهكم على الأفراد والفئات، والصفات الخلقية والتهكم على الحاكم، وتعتمد على صفات المكر والخداع، وإظهار الاضطرابات السياسية والاجتماعية في المجتمع، وخاصة إظهار عنصر الطبقية والمشكلات التي تتواجد في العصر ولكن المفارقة تظهرهم بشكل ساخر أو كوميدي في مواقف القصة[2].

تعتبر المفارقة أيضا «من أفضل وسائل التعبير عن النص بأسلوب غير مباشر لتصحيح الكثير من المفاهيم السائدة في المجتمع»[3]. تتناول قضايا اجتماعية وسياسية، وتنتقد ما يحصل حولهم من مشاكل وحقائق، لكن بشكل غير مباشر، وبكلام كله مقاصد، ودلالات خفية تبنى في المفارقة بأنواعها سواء مأساوية أو كوميدية.

---

[1] ينظر: قيس حمزة الخفاجي، المفارقة في شعر الرواد، ص61، ص65.

[2] ينظر: نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري، مكتبة الأدب، (د.ط)، القاهرة، 2006، ص235، 236.

[3] نفسه، ص235.

2- عناصر المفارقة، وظيفتها، وخصائصها:

2-1 عناصر المفارقة:

لا بد من توفر عناصر الاتصال في العمل الأدبي بين الكاتب والقارئ، لذلك ينبغي وجود المرسل والمتلقي والرسالة، وبما أن المفارقة أسلوب أدبي نجدها تعتمد على توفر هذه العناصر، حيث نلتمس أن «المفارقة ظاهرة أسلوبية متميزة، لعبة لغوية غاية في المهارة والذكاء، إنها رسالة ترميزية، تقوم شعريتها على جدلية قائمة بين مبدعها (الصانع الماهر) الذي يفتح بناءها المغلق على قراءات متعددة أو دلالات معينة، وقارئها الذي يحاول الوصول إلى هذه المعاني لفك شيفرتها»[1].

ولعل أهم محددات المفارقة ما تذكره الدكتورة نبيلة إبراهيم، و هي عناصر نوجزها فيما يلي:[2]

(أولا) وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد؛ المستوى السطحي للكلام على نحو ما يعبر به، والمستوى الكامن الذي لم يعبر عنه، وهو الذي يلح عليه القارئ لاكتشافه.

(ثانيا) لا يتم الوصول إلى إدراك المفارقة إلا من خلال التعارض أو التناقض بين الحقائق غلى المستوى الشكلي للنص.

(ثالثا) لابد من وجود ضحية في المفارقة، تتشكل المفارقة من مرسل المفارقة الذي يمتاز بحنكة وذكاء ، أما المتلقي هو من يفك شفرة نص الرسالة باعتبارها عنصر مهم.

كما أشار إليها " د. سي، ميويك ": «ما لم يتم تفسير الرسالة المفارقة كما أريد لها فإنها تبقى أشبه بيدي وأحده تصفق، وبعبارة أخرى أن المفارقة الهادفة لعبة يقودها اثنان (رغم أنها أكثر من ذلك)، فصاحب المفارقة التي يقوم بدور العزيري يعرض نصا ولكن بطريقة أو سياق يدفع

[1] نعيمة السعدية، شعرية المفارقة بين الابداع والتلقي، جامعة بسكرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، 2007، ص01.

[2] محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص20.

القارئ أن يرفض ما يعبر عنه من معنى حرفي»[1]. يتضح لنا من هذا القول بأن لكل عنصر دور ولا يمكن الاستغناء عن أحد هذه العناصر، فلا تتشكل المفارقة إلا بوجود هذه العناصر فتدفع بالقارئ إلى اكتشاف دلالات مخفية أو يعيد إنتاجها حسب ما فهم.

2-2 وظيفة المفارقة:

هناك وظائف متعددة للمفارقة على مستوى النص فنيا ودلاليا، كما أن لها وظيفة اصلاحية، فهي تشبه أداة التوازن التي تبقي الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم [2]. نجد الناقد "محمد العبد" يقول: «من أجل ذلك كانت المفارقة أداة أسلوبية فعالة التهكم والاستهزاء، ويخرج ذلك الاستهزاء الذي يخلو صياغته اللغوية، من مفارقة اللفظ للمعنى بل يرد إلى أدوات لغوية أسلوبية أخر»[3]. هنا يشير إلى الوظيفة اللغوية للمفارقة، التي تتكون من خلال أسلوب الكاتب والأدوات اللغوية في تشكيل أسلوب التهكم أو السخرية، ويظهر ذلك من خلال المعنى الخفي عما يظهر في المعنى اللفظي اللغوي.

ثم نجد إشارة إلى وظيفة الإصلاح إضافة إلى التهكم والسخرية من خلال تعليق "نجلاء علي حسين الوقاد" في كتابها "بناء المفارقة في فن المقامات" حيث تذكر عن المفارقة «إنها ثورة داخلية بأسلوب غير مباشر لإظهار المثالب في المجتمع لتقويمه وتهذيبه، ومحاولة علاجه بإبرازها على السطح لتجنبها»[4]. وقد يلجأ صانع المفارقة إليها، عندما يفشل النقد المباشر وكل وسائل الإقناع، وتستهلك الحجج، ويحقق النقد الموضوعي، فالكاتب يستخدم هذه المفارقة في تبيان مواقف

[1] د. سي، ميويك، المفارقة وصفاتها، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، ط1، بغداد، 1997، ص 49، 50.
[2] ينظر: نفسه، ص50.
[3] محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص16.
[4] نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري، ص 235.

اجتماعية وأفعال أو أفكار مجتمعية بشكل ساخر ومتهكم، يظهر حقيقتها أو الصحيح فيها بشكل إصلاحي منتقد في المفارقة المستخدمة.

2-3 خصائص المفارقة

أ- الإيحائية:

ومعناه وجود مستويين للمعنى في التعبير الواحد «المستوى السطحي للكلام على نحو ما يعبر عنه، والمستوى الكامن الذي لم يعبر عنه»[1]. فالمستوى الأول من الكلام هو اللفظ المسموع أو المقروء، والذي يكون كلامه واضح الكلمات والدلالة، أما المستوى الثاني فيتم فهمه من قبل المتلقي وذلك لما يراه من تضارب الكلام والتلميحات المتواجدة فيه، فيتخلص من المستوى السطحي للكلام أو يستدل به ليفهم المعنى العميق له ومنه يفهم المفارقة الموجودة وموضوعها.

ب- التعارض أو التناقض:

يتم إدراك المفارقة من خلال إدراك التعارض أو التناقض بين الحقائق على المستوى الشكلي للنص فمنه تظهر المفارقة والمعنى الخفي بين سطور النص.

ت-البراءة:

حيث غالبا ما ترتبط المفارقة بالبراءة و قد تصل إلى حد التظاهر بالسذاجة أو الغفلة[2]

ث- وجود الضحية:

وهي شخصية هشة ومعرضة للهجوم ممن هو أعلى منها أو من قبل الكون والحياة «وقد تكون شخصية الكاتب أو شخصية الآخر أو الأنا... وأيا ما كانت هذه الشخصية فهي ضحية

[1] نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص 22.

[2] ينظر: نفسه، ص23.

متهمة وبريئة، ولكنها في الوقت نفسه تدعي لنفسها ما هو مبالغ فيه»[1]. وضحية المفارقة قد يكون أساسها فنجد المفارقة تسعى إليه.

يعتبر الضحية « الذي تريد المفارقة إصابته حاضرا أم غائبا أو الشخص الذي أخفق في إدراك المفارقة سواء كان هو المقصود بها أو لم يكن، وعند إضفاء فكرة المفارقة على غرير غافل يقع ضحية مفارقه لفظية أو ضحية شكل آخر من المفارقة الهادفة، يغدو بالإمكان وصف ذلك المرء بالمفارقة أي أنه على غفلة منذ صار ضحية ظروف أو أحداث تتخذ في الغالب صفة شخصية»[2]. فسواء كان موقف الشخصية المقصودة بالمفارقة –حاضرة أو غائبة– فإن موقفها إضافة إلى الظرف أو الحدث هو ما يصنع هذه المفارقة بشكل كامل، ونجد هذا الموقف أكثر بالأحداث الكوميدية.

ج- خلق جو من المراوغة أو الخداع:

ومعناه أن الإنسان المخادع أو المراوغة يكون ضحية مفارقه حيث تكون صفاته:

أ. قد يكون بالغه الغفلة أو مفرطا في الاطمئنان

ب. قد يكون شديد الحذر نجده موضعه تسامح، وأما صاحب المفارقة لابد أن يدعي الغفلة[3].

3-أنواع المفارقة:

تتنوع المفارقة حسب السياق والشكل الذي تأتي به، حيث تعتمد على الشخصية والحدث الذي يصنع هذه التقنية، ولقد تعددت أشكال وأنواع المفارقة وجاءت مختلفة من باحث إلى آخر، وكل فئة قسمتها بحسب أساليبها وموضوعها وتماثلها في النص، إلا أنه توجد أنماط أخرى تعتمد

[1] نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص23.

[2] نفسه، ص18.

[3] ينظر: نفسه، ص24.

على اللفظ لتشكل تضادا يصنع هذه المفارقة ويعطي ميزة نوعها، ومن أهم الأنواع التي وقفنا عليها نذكر:

3-1 المفارقة اللفظية:

تظهر المفارقة اللفظية في التناقض بينما يقال أو ما يكتب وبين ما يقصد، أي تظهر في القول الذي يساق فيه معنى معين في حين يقصد منه معنى آخر، وتظهر هذه المفارقة في الأسلوب البلاغي. «فالمفارقة اللفظية هي تغير في المعنى، أو تغير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، ولابد من حدوث انقلاب في الدلالة»[1]. إن المفارقة اللفظية تقدم مدلولا حرفيا في جملة أو قول يحمل كلمات دلالية واضحة خالية من الغموض، ولكن بعيدا عن هذا المدلول الحرفي نجد أنها تقصد مدلولا مناقضا، وذلك عبر ظواهر بلاغية. ومما ذكرناه أن المفارقة اللفظية انقلاب في الدلالة.

وقد أشار "سي ميويك" أن المفارقة اللفظية تعتمد على اللغة كأهم وسيلة حيث يقول: «أن البلاغي الواثق قد يستطيع تمييز كثير من الطرق التي تؤدي المفارقة كثرة الطرق التي تستخدم بها الكلمات، وسوف أقتصر على أشهر أنواع المفارقة اللفظية، وأغلبها يكون أسلوبها الأساس أما السير مع هدف المفارقة وإبرازه أو النيل من الذات... إن أبسط أمثلة (الإبراز) في المفارقة اللفظية المديح بدل الذم»[2]. وهنا يقصد أن المفارقة اللفظية تقوم بشكل أساسي على التضاد بين المعنى الظاهري والباطني فمثلا الشخصية (أ)، تقوم بفعل مؤذي اتجاه الشخصية (ب)، فتقول هذه الأخيرة عبارة شكر وتبتسم، ويكون ذلك قصد إظهار مقصد مخفي مخالف ويعكس ما يقال، وفي مثال آخر الشخصية (أ) تفعل شيئا أخرق فترد عليها الشخصية (ب) بعبارة تهاني وهكذا، فكأنما يحصل

[1] نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص32.

[2] سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها، ص67.

حدث وتستجيب الشخصية الأخرى بعبارة تعاكس ما يجدر أن يستجاب به في ذلك الموقف لغرض السخرية أو التهكم وهو ما يصنع المفارقة وفي هذه الحالة المفارقة اللفظية.

يوضح "محمد العبد" في قوله «ينبغي لنا لإدراك المفارقة:

1- أن ننفذ من الحدث اللغوي إلى حدث المغزى.

2- ومن القول إلى المقصد القائل.

3- يترك مقصد القائل تأثيره الذي يصل إليه هنا بواسطة بنائه على المفارقة في فن المستمع أو المخاطب»[1].

يقصد بذلك أن المفارقة اللفظية تصنع معنى دلالي جديد من خلال التناقض بين القول الحرفي اللغوي وبين المقصد والمغزى الخفي، أي «تغير مجال الاستعمال اللفظي إلى الضد تحكما بمعنى انتقال اللفظي من حقله الدلالي المعروف له في أصل الاستخدام الى حقل دلالي آخر»[2].ويكون ذلك بواسطة الإبراز أو بطريقة الإغراق أو النقش الغائر وهو ما أشار إليه "سي ميويك" حيث ذكر أن: «أ- طريقة الإبراز: أي إظهار القول أو الكلام مثل المديح بدل الذم مثل عبارة التهاني التي نقولها في حق اخرق تسبب في فعله مؤذية.

ب- طريقة الإغراق: أو النقش الغائر: أي تنال من الشخصية ويستخف فيها بنفسه فهذه الطريقة تعزل هدف المفارقة أو موضوعها لا برفعه بل بالنيل من الذات (الاستخفاف بالذات) والقيام بدور غريزة المفارقة (المخادع)»[3]. يظهر لنا أن المفارقة اللفظية لها دور فعال في تقوية النص واتساقه، إضافة إلى أنها تلعب دورا مهما في تعزيز اتساق النص وترابط وتعميق تأثيرها على المتلقي.

[1] ينظر: محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص72.

[2] نفسه، ص73.

[3] نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص33.

تعرف أيضا «بنمط كلامي يكون المعنى المقصود فيه مناقضا للمعنى الظاهري، ينشأ هذا النمط من كون الدال يؤدي مدلولين نقيضين، مدلول حرفي ظاهر، ومدلول سياقي خفي»[1]. وهو ما يقوي عمق النص واتساقه، أي إمكانية الكاتب في صنع هذه المواقف، التي في ظل مدلولها اللغوي نجد مدلولا خفيا يحمل مغزى مناقض يتماشى مع ما هو مذكور.

تقوم المفارقة اللفظية على التضاد والتفاوت بين المفردات «ويقصد بذلك التفاوت بين التعبير والقصد، أي عند قول شيء فإنه يقصد شيئا آخر أو ظاهر الكلام الذي تعرضه المفارقة اللفظية يختلف عن المعنى الضمني المراد، بمعنى إن المعنى الحرفي يناقض النتيجة المقصودة، وتمتلئ حياتنا اليومية بكافة أنماط المفارقة اللفظية، ومنها ناعم كالجمر، واضح كالضباب، ممتع كالمرض»[2]. وأمثلة المفارقة اللفظية كثيرة، ونجد تعريفاتها تصف أكثر دور بارز فيها ألا وهو تقوية النص واتساقه، ومعناه أيضا تحقيق وظيفة المفارقة في إضافة عنصر السخرية والمفاجأة، وأهم شيء أساسي هو ذكر معنى المقصود خفي عن المعنى الدلالي الظاهري اللغوي.

3-2-المفارقة الدرامية:

إن أول من تكلم عن المفارقة الدرامية هو "أرسطو" الذي أشار إليها بكلمة «انقلاب الحال»، و نجد "نجلاء علي حسين الوقاد" تذكر بأنها: «تفيد انقلابا مفاجئا في الظروف، وهو الذي ركز على أن المفارقة بمجرد حدوثها ووجودها لابد أن تفجر الأحداث، و تحتم حدوث شيء، وتحتم قدرا من الاتفاق، وقدرا من الاختلاف، وقدرا من العلم، وقدرا من الجهد لدى كل الطرفين، ولابد من صراع درامي فيحدث من خلالها انقلاب الحال، وتغير عكس ما كان متوقعا في البداية »[3]. من

[1] خالد سليمان، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث اليرموك، مج09، الأردن، 1991، ص68،69.

[2] مجموعة من الباحثين، أوراق فلسفية، تح: سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2012، ص23.

[3] نجلاء علي حسين الوقادة، بناء المفارقة في فن المقامات، ص200.

هذا الكلام نفهم أن المفارقة الدرامية تصيب المتلقي بحالة من الإثارة، وذلك بحصول حدث لم يكن متوقعا، يكون مناقضا لما كان ظاهرا في توقعات كلا من الشخصية في النص الروائي، وأيضا للمتلقي، وهو ما يخلق الصراع الدرامي.

المفارقة الدرامية تظهر في النصوص المسرحية أكثر من بقية الأجناس الأدبية وهي تنتج من الفرق الواضح بين ما ينتظر حدوثه وما يحدث بالفعل، فيصاب المتلقي بصدمة أو المفاجأة من هذه المفارقة، وكلما ازداد التناقض بين ما كان متوقعا، وما يحصل بواقع النص الروائي كلما ازدادت حدة المفارقة.

يلعب الجمهور دورا في تحقيق المفارقة عن طريق إدراكها «المفارقة الدرامية تنشأ حالة ما يدرك الجمهور شيئا تجهله في الأقل شخصية وأحدة على المسرح فنحن الجمهور نعرف كل شيء ونحن نبتهج بما نحيط به من علم، ويصل هذا الابتهاج ذروته في الكوميديا»[1]. المقصود هنا أن المفارقة الدرامية تنشأ مع تعاطفنا مع الشخصية بالنص الروائي –أو المسرحية– ونظرتها فمثلا نجد أننا نتعاطف مع شخصية العشاق لكن لا نتعاطف مع المحتالين فهنا المتلقي يشاطر الشخصيات في المعرفة وهو ما نجده أيضا في المفارقة الرومانسية، وتحدث المفارقة الدرامية أيضا في مفارقة المأساة، وهو وضع من القلق والاضطراب يعيشه المتلقي مع الشخصيات، وهو ما يأخذه إلى القيام بفعل التنبؤ ومحاولة توقع ما سيحصل.

يحدث التفتح التدريجي للوضع الحقيقي وهو ما ينتج القلق والتوتر «دور التوتر في المفارقة الدرامية وهو الذي يحرك المفارقة بكل أجزائها فبدونها لا تتم المفارقة، وهو أهم مراحل المفارقة لأنه يؤدي إلى الانقلاب المفاجئ بعده»[2]. التوتر وسيلة لخلق التوتر الدرامي أي عنصر المفاجأة ويكون

[1] نجلاء علي حسين الوقادة، بناء المفارقة في فن المقامات ، ص203.

[2] نفسه ، ص204.

بإظهار حقيقة كانت محجوبة بشكل غير متوقع أي بشكل مفاجئ، وإلى جانب عنصر التوتر تتوفر عناصر الغفلة والخداع والوهم في المفارقة الدرامية، ومنه فإن أهم مقومات المفارقة درامية هي عناصر المفاجأة والتوتر وانقلاب الحال من حدث إلى حدث مناقض.

والمفارقة الدرامية لا تتولد من وجود متضادين فمثلا القزم والعملاق لا يكوِنان مفارقة درامية، وهكذا فالمفارقة بمجرد وجودها تفجر الأحداث وتولد حدثا جديدا[1]. وكذلك «المفارقة هي وحدها وبمجرد وجودها بذاتها فقط تفجر الأحداث، أو بمعنى آخر تحتم حدوث شيء والمفارقة هي البداية أو الأصل في الحادثة الدرامية ليس معناها الاختلاف أو التضاد... إن المفارقة تقوم في العلاقات بين الإنسان وبيئته أو بين الإنسان ونفسه»[2]. معناه أن المفارقة الدرامية تصنع جوا متوترا يضطر فيه المتلقي إلى أن يحاول التنبؤ بما سيحصل ليتفاجأ بتناقض ما كان متوقعا وما حصل فعلا.

3- 3 المفارقة الرومانسية:

تقوم المفارقة الرومانسية أساسا على بناء عالم خيالي كالحلم ثم يتم تحطيمه من قبل الكاتب، أي تبنى أحداثها على أحلام يعيشها الكاتب أو الشخصية في النص الروائي، ثم يحطم ذلك الحلم بعيش الواقع، حيث يقول "ميويك": «الرومانسية هي التظاهر الوحيد وغير المقصود ومع ذلك هو مقصود تماما... أن يكون كل شيء هازلا وجادا، مكشوفا ببراءة ومستورا بعمق، ويصدر عن ذلك فهم للحياة والروح العلمية بالارتباط مع الفلسفة غريزية تماما وواعية تماما تضم المفارقة وتثير شعورا لا يذوب من العداوة بين المطلق والنسبي، بين استحالة التواصل التام وبين ضرورته»[3]. ومن هذا الكلام يظهر لنا إن المفارقة الرومانسية تنشأ في أحداث يصنعها الكاتب في عالم

[1] ينظر: نجلاء علي حسين الوقادة، بناء المفارقة في فن المقامات ، ص199، 200.

[2] نفسه، ص199.

[3] سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها، ص36.

«الحلم» أو «الخيال» تحصل فيه أحداث ذات معنى عميق وفلسفي رغم مظهرها البريء أي الظاهر.

يقول "مصلح النجار": «يقوم الكاتب بخلق وهم جمالي يشعر بحالة من الجد بالعام وعدم قدرته على التوقع»[1]. يتضح لنا من خلال هذا القول أن المفارقة الرومانسية تتيح للكاتب وضع القارئ في أحداث وهمية _تخص الرواية_ وهذه الأحداث رغم خروجها عن منطق الواقع وما نعرفه من قبل إلا أننا نتعمق في جو من الجدية؛ مثلما تفعل الشخصية بالرواية، فنعجز عن توقع والتنبؤ بما سيحصل أو ما يحصل بالفعل.

3-4 المفارقة السردية:

تعتبر المفارقة السردية شكلا من أشكال المفارقة، وهي تقنيه تقوم على بناء السرد الروائي، ولها دور كبير في تشكيل النص السردي وبنائه، تقوم على علاقة التضاد والتباين بين الزمن المستخدم في السرد بترتيب غير منتظم، وهي عنصر مهيمن على الكتابة الروائية، إن الزمن له أهمية كبيرة في السرد، ومنه كان من الضروري وجود مفارقات سردية في الرواية محققة من خلال المفارقات الزمنية.

يذكر الناقد "حميد لحميداني" أن المفارقة السردية هي أحد العناصر الفنية الأساسية اللازمة والمكونة للعمل متمثلة في أوجه التناقض والتضاد في كل العلاقات كان من شأنها أن تتفق وتتماثل، أي الاختلاف في الترتيب بين زمن القصة وزمن السرد[2]. وأيضا إن دراسة الزمن السردي يستدعي مشكلة قياس المدة عبر المقارنة بين الزمن القصة وزمن السرد ثم بينهما زمن القراءة

[1] مصلح النجار عوني الفاعوري، المفارقة في شعر عرار، مجلة الدراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 1، الجامعة الأردنية، 2007، ص164.

[2] ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت ، 1991، ص73.

حسب ما يقوله جيرار جنيت[1]. الملاحظ من هذا القول إن الزمن ينقسم إلى زمن السرد والزمن القصة والزمن القراءة، حيث يلعب الزمن دور مهم في العمل الأدبي، ويعتبر المحرك الأساسي لباقي عناصر السرد من عنصر المكان والشخصيات والأحداث.

إن الزمن متغير في النص الروائي فهو ينتقل من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل بشكل غير مرتب، وهو ما يصنع مفارقة، التي بدورها ترتبط كثيرا باستشراف الأحداث واستذكارها، فالأول يجعل القارئ يتوقع أحداث لاحقة، يتعرف عليها قبل حدوثها في زمن القصة، والثاني يعود بالزمن إلى الخلف، ويسترجع الماضي بمختلف مراحله، وعلى ذلك فإن المفارقة السردية تعتمد على الاستباق والاسترجاع.

1-الاسترجاع:

إن الاسترجاع تقنية سردية كغيرها من التقنيات، وقد اختلفت تسميته من باحث إلى أخر ذلك أن المصطلح قد ترجم من كلمة (back flash)، ومن تسمياته نذكر (الاستذكار، الارتداد). وقد عرفه الناقد "جيرار جينيت" بأنه: «ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي تحن فيها من القصة»[2]. أما "سيزا قاسم" فقد عرفته: «الاسترجاع هو أن يترك الراوي مستوى النص الأول وأن يعود إلى بعض الأحداث الماضية ليرويها في لحظه لاحقه لحدوثها»[3]. ومنه إن الاسترجاع هو العودة إلى الوراء وتوظيفه في الحاضر أي ذكر الأحداث الماضية في لحظة لاحقة.

ينقسم الاسترجاع إلى:

[1] ينظر: جيرار جينيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، تر: محمد المعتصم، منشورات الاختلاف، ط2، مصر، 1997، ص101.

[2] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص51.

[3] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، مكتبة الأسرة، ط1،القاهرة، 2004، ص250.

أ. الاسترجاع الخارجي:

وهو ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى، فالاسترجاعات الخارجية –لمجرد أنها خارجية– لا توشك في أي لحظة أن تتدخل مع الحكاية الأولى عن طريق تنظير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك[1]. هذا يعني أننا نجد الاسترجاع الخارجي قبل بداية الحكاية أي استرجاع سابق لأحداث، هذا الاختلاف في ترتيب زمن السرد هو ما يجعله مفارقة سردية زمنية.

ب. **الاسترجاع الداخلي:** يعرف الاسترجاع الداخلي على أنه «غيرية القصة أي الاسترجاعات التي تتناول مضمونا قصصيا مختلفا عن مضمون الحكاية الأولى، أو مثلية القصة: «أي تلك التي تتناول خط العمل نفسه التي تتناوله الحكاية الأولى»[2]. إن هذا القول يبين لنا أن الاسترجاع الداخلي يعود إلى الذكريات الواقعة ضمن زمن الحكاية بعد بدايتها، وهو عكس الاسترجاع الخارجي.

2– الاستباق:

الاستباق مفارقة زمنية مضادة للاسترجاع، ولها عده تسميات مثل (القبلية، واللاحقة، والاستشراف ...)، وقد استخدم مصطلح الاستباق الذي يعرف على أنه: «كل حركة سردية تقوم أن يروي يحدث أو يذكر مقدما »[3]. وكما عرفه "أحمد حمد نعيمي" «سرد حدث في نقطة ما قبل أن

[1] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية،دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2004، ص61،62.

[2] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص60، 61.

[3] نفسه، ص51.

تتم الإشارة إلى الأحداث السابقة بحيث يقوم ذلك السرد برحلة في مستقبل الرواية »[1]. فهو في مقام تمهيد وتوطئة للأحداث لاحقة، يعلن عنها الراوي، وينقسم الاستباق إلى نوعين هما:

أ. **الاستباق الخارجي:** هو الذي يتجاوز زمنه حدود الحكاية، يبدأ بعد الخاتمة ويمتد بعدها لكشف مآل بعض المواقف والأحداث المهمة والوصول بعدد من خيوط السرد إلى نهايتها وقد يمتد إلى حاضر الكاتب، أي إلى زمن الكتابة والرواية[2].

ب. **الاستباق الداخلي:** يحدد "جينيت" الاستباق الداخلي بأنه: «لا يتجاوز خاتمة الحكاية ولا يخرج عن إطارها الزمني، ووظيفته باختلاف أنواعه، أما خطره فيكمن في الازدواجية التي يمكن أن تحصل بين السردية الأولى والسردية الاستباقية»[3].ومنه الاستباق يقوم على التنبؤ وما ستؤول إليه الأحداث مستقبلا، فهو عكس الاسترجاع .

3-5- مفارقة الموقف:

مفارقة الموقف أحد أشكال المفارقة، ويقصد بها «أن نستوعب المفارقة موقفا متكاملا يجسد علاقة الذات المتكاملة أو الموضوع المتكلم عنه بالبيئة المحيط به، أو بالآخرين الحافين به في زمان ومكان محددين، والواقف هنا، يقف سلوكه وفكره موقعا يكشف من خلالهما عما يحيط به ومن يحيط به بوضعهما وسائل مساعده، أو عوائق حاجزة أمام سلوكه وفكره ورغباته وطموحاته فيتخذ من ذلك موقفا محددا يحاول من خلاله تغيير الواقع أو تعد عليه على الأقل الاحتمالات وقد تكون المفارقة ركيزة هذا الموقف حتى يمكن القول أننا أمام مفارقة موقفية »[4].

---

[1] أحمد محمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الدارس، ط1، الأردن، 2004، ص33.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية: عربي، إنجليزي، فرنسي، دار النهار، ط1، بيروت، 2002، ص 17.

[3] جيرار جينت، خطاب الحكاية، ص45.

[4] أحمد عادل عبد المولى، بناء المفارقة: دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الأدب، القاهرة، 2010، ص133، 134.

ومفارقة الموقف تتميز عن المفارقة اللفظية، إذ أن هذه الأخيرة تقوم على المفارقة التي تعتمد على صاحبها في اتخاذ صفة ما وتعني «التفاوت بين القصد والنتيجة، ومثال ذلك عندما تكون نتيجته عملك تناقض المتوقعة أو المطلوبة، أي يحدث تعارض بينما تتوقعه وبينما يحدث، وتتدرج فيها المفارقة الكونية وهي التباين بين رغبات الإنسان والوقائع القاسية من العالم الخارجي»[1]. إذا مفارقة الموقف ناتجة عن موقف ما، ويمكن الشعور بها ومشاهدتها لكونها مجرد ظرف أو نتيجة لأحداث لذلك لا تحتاج حضور شخص ليقوم بها، بل تحتاج لشخص أو شخصية تحاول توقعها أو تمنيها، وقد تكون التغير من حالة إلى حالة مناقضة للأولى، ومن شعور إلى شعور مغاير.

وبشكل عام تعتبر المفارقة «رحلة فنية جمالية تجعل كل من صانعها ومتلقيها في بحر الصيغة اللغوية عبر فضاء نصي متماسك ساحر كله تناقض ظاهري، تقدم للمبدع من خلاله آلية تعينه على الانفلات من دائرة المباشرة والبساطة، إلى الدخول في أفق كله شفافية بعيدة وضبابية وجمالية »[2]. ومن ثمة جعلت القارئ، يساهم في فك شيفرة الدلالات الخفية، بتوقفه عند هذه الجماليات وبالتالي يكون المبدع الثاني .

[1] مجموعة باحثين، أوراق فلسفية، تح: سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2012، ص23.
[2] نعيمة السعدية ، شعرية المفارقة بين الابداع و التلقي ،ص 04.

الفصل الثاني:

أشكال المفارقة في رواية "اختفاء السيد لا أحد"

1. المفارقة اللفظية.
2. المفارقة الرومانسية.
3. المفارقة الدرامية.
4. المفارقة السردية.
5. مفارقة الموقف.

1- المفارقة اللفظية:

يقصد بها «بأنها بأبسط تعريف لها، هي شكل من أشكال القول، سياق فيه معنى ما، في حين يقصد به معنى آخر يخالف غالبا المعنى السطحي الظاهر»[1]. وفي الرواية "اختفاء السيد لا أحد" نجد كثيرا من أمثلة هذه المفارقة، نذكر أولها في بداية سرد الرواية على لسان شخصية "السيد لا أحد" وهو يتكلم بنفسه عن شخصية "عمي مبارك" حيث يقول: «عمي مبارك عم للجميع، وليس عما لأحد»[2]. تكمن المفارقة في كونه يلقبه بعمي من قبل الجميع وليس بعمهم فنفهم المقصود هنا أنه شخص يعرفه الجميع، وكونه صاحب مقهى وتجاره بهذا المجال هو ما أكسبه هذا اللقب، وليس قرابة دم أو تصرفاته أو العلاقات العائلية.

يكمل "السيد لا أحد" كلامه عنه قائلا «بدلي جديرا بدرجه من الاحترام تناسب شيبته، كانت غلطتي من البداية »[3]. إن المقصود هنا أن كبر العمر وشيبة رأس هذا الشخص لم تكن إشارة أبدا إلى الحكمة أو نضج العقل، فقد وجد "السيد لا أحد" احترامه هذا بسبب هذان الأمر أن شيئا خاطئا وغلطة منه.

من الأمثلة الأخرى عن مفارقات اللفظية وردت بالرواية «الجو بارد قليلا لكني ملتهب أرقب مطلع خيالها»[4]. رغم هذا التضاد بين أن الجو بارد جليدا ولكن قلب شخصية «السيد لا أحد» ملتهب نارا في دلالة خفية عن الشوق والحب، وهذه الدلالة الخفية من أحد خصائص المفارقة اللفظية.

---

[1] محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص71.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، منشورات الضفاف، ط1، لبنان، 2019، ص7.

[3] نفسه، ص07.

[4] نفسه، ص11

في مثال آخر: «دسست بدني تحت الفراش لأموت موتا صغيرا»[1]. كانت المفارقة اللفظية هنا بين النوم والموت، فبدل أن النوم راحة وهناء تكلم "السيد لا أحد" عنه كأنه موت وأمر سلمي وغير مريح، فنفهم المقصد الخفي ألا وهو الهروب من الواقع ومن هذه الدنيا بالنوم ،إن المفارقة اللفظية قد اعتمدت وسيلة الإبراز هنا ،أي إظهار قول أو كلام في مواقف تستدعي غيره، مثل عبارات المدح في موقف يستدعي الذم، ومن أمثلة ذلك في الرواية نذكر حديث "السيد لا أحد" مع نفسه، وهو يتكلم عن مراد صديقه، الذي هاجر وترك له والده الذي يعاني من مرض الزهايمر، فيقول: «كما فهمت أنا أن ابنه استخدمني بنذالة أنا ممتن له كثيرا من أجلها »[2]. ويكمل قوله هذا ب: «أنا شاكر لصديقي على نحو ما، وظفني ككلب حراسة دون أن يشعرني، ودون مؤهلات سابقة»[3].

نجد "السيد لا أحد" يشكر صديقه أنه استغله وتركه ككلب حارس لوالده الشيخ المحتضر، فبدت وسيلة المفارقة اللفظية "الإبراز "، إنه يستخدم هذه العبارات الشاكرة في حين كان عليه أن يستخدم عبارات غاضبة وتذم الآخر، فنحن القراء نفهم المعنى المقصود الذي يناقض ما هو مكتوب وما هو لفظي.

في مفارقة لفظية أخرى يقول: «إني أسكن الآن، و أنا الراهب، في وكر سابق للفجور»[4]. هذا التناقض اللفظي والمنطقي بين لفظة 'راهب' و'فجور'، فكيف يسكن الراهب الذي هو إنسان اعتزل الناس للتعبد فيذهب الى مكان غير نجس ليقوم بذلك، بينما "السيد لا أحد" يعلم أنه ليس طاهرا، وبطبيعة الحال مكان عزلته ليس بطاهر، فهو وكر فجور سابق لمراد، الذي كان يدعو

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص 11.
[2] نفسه، ص16.
[3] نفسه، ص 16.
[4] نفسه، ص17.

النساء في هذا الوكر الفاسق، وأيضا شخصية الإمام الذي خدعه باستئجار الشقة وكذلك وكر مستقبلي للسيد لا أحد نفسه للفجور وهكذا اتضح لنا أن الكاتب استطاع خداع وتظليل القارئ مع شد انتباهه لكشف المعنى المخفي من خلال الأمثلة المقدمة.

وفي وصف عاملة النظافة التي استأجرها "السيد لا أحد" لتنظيف الشقة وشراء ما يلزم من حاجيته، هو والشيخ، نجد المفارقة اللفظية حيث يقول عنها: «كائن لطيف لكن طباع العبيد في دمها»[1]. فرغم أن الكلام متناقض مع أوله إلا أن المعنى الخفي الأكثر تناقضا، هو أنه رأى أن لطفها اتجاههم ما هو إلا لأنها تأخذ مالا على عملها، فشبهها بالعبيد الذين يفعلون ما يؤمرون في سبيل العيش وإكمال الحياة، وبالتالي المفارقة اللفظية «انقلاب في الدلالات وهي مفارقة يصنعها صاحبها فيعتمد هذه المفارقة»[2]

نذكر صورة أخرى للمفارقة اللفظية في الرواية، حيث أخذ "السيد لا أحد" الشيخ والد مراد إلى المستشفى حين ساءت حالته، وذهب يتكلم مع الطبيب ليخبره كيف حاله «يخبرني الطبيب، باسترخاء تام، بأن الشيخوخة لا دواء فتح عظيم! ربما فكر إني أريده أن يشفى أو أن يفلت من الموت!»[3]. عبارات فتح عظيم ويفلت من الموت عبارات لفظية تحمل معنى أعمق معنى سخرية وتهكم من موقف، إذ أنه استفزه الموقف فذهب يمدح في آراء وكلام الطبيب الفارغة، التي لم تزيد على علمه فائدة، وخاصة بعد أن أعلمه بأنهم لا يمكنهم إجراء تحاليل عليه، وذلك بسبب تعطل أجهزة المستشفى.

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص18.

[2] دي سي ميويك، المفارقة وصفاتها، ص43.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص 21.

يسخر "السيد لا أحد" في مفارقة لفظية أخرى بقوله: «تحيا الدولة الوطنية، دولة الرفاه، والجيوب المتخمة، لم يبقى في جيبه سوى برقة من ألفي دينار لا تفعل شيئا»[1]. فما يقوله عكس ما هو واقع بطبيعة الحال الدولة الغنية، التي بكلامه دليل على مدى فقرها وفسادها، حيث أنه في مستشفيات معطلة وفاسدة، والجيوب متخمة في ماذا؟ أي أنه يقصد جيوب الفساد التي تمتلئ مالا أما جيبه، فيه ورقة مال وأحدة يعتمد عليها لبقية هذا الأسبوع، ليرى فيما يجد حلا آخر لكسب بضعة نقود.

إن هذه الأمثلة تدل على أحد الطرق التي تؤدي المفارقة اللفظية ألا وهي طريقة الإبراز وهي إظهار قول أو كلام مثل المديح يدل على الذم أي قول عبارة يكون مقصدها خفيا يناقضها تماما[2].

لعل من أكثر العبارات في الرواية التي دلت على مفارقات لفظية واضحة، هي في حالة غضب "السيد لا أحد" حين ساء وضعه مع والد مراد، فصار يلوم ويمدح في صديقه في نفس الوقت على حاله وعلى معيشته المذلولة، فيقول في حالة غضب: «كم أتمنى أن تحدث معجزة وأجده واقفا أمامي الآن لأركله على مؤخرته.. كلب.. لا أحقد عليه، أنا غاضب فقط مازالت أشعر بالامتنان له، أواني ليستغلني ويريح ضميره ومع ذلك أنا ممتن له كثيرا»[3]. هنا استخدم الروائي طريقة الإغراق أو طريقة النقش الغائر وفيها يستخف الشخصية بنفسه، وينال من ذاته أي يخدع نفسه بكلام يعلم أنه لا يعنيه ومع ذلك يقوله لنفسه[4].

فصاحبه مراد هذا فعل خيرا وشرا بنفس الوقت بشكل ماكر للغاية، حيث رأى أن "السيد لا أحد" في أمس الحاجة لمأوى وعرض عليه أن يظل في أحد الشقتين المتقابلتين التي يملكها هو

---

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص21.

[2] ينظر: نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص33.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص24.

[4] ينظر: سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي: المفارقة وصفاتها، ص 67.

ووالده، أي عرض عليه مأوى وملجأ مقابل أن يعتني بوالده الذي أصابته الشيخوخة، ورحل مراد بعدها مهاجرا إلى ألمانيا ليستمتع ويكمل فجوره هناك مع نساء ألمانيات.

أما المفارقة اللفظية في المثال المقدم الامتنان الذي يتكلم به "السيد لا أحد" ويعيده وهو ليس سوى غضب، ويدل على نقيضه كليا فهو ليس مدحا إنما هو ذم وغضب، يقول في إدراكه فقره وصعوبة أحواله: «لدي شقتان أبيت جائعا في أيهما شئت»[1]. تكمن المفارقة في أنه يملك شقتان ومع ذلك يبيت جائعا، لا يتمثل ما أكله سوى في قهوة مركزة يشربها في الصباح، ويقنع نفسه أنه بإمكانه تحمل الجوع، وكل هذا من بؤس حالته، وشدة فقره هو والشيخ، ورغم الفقر يملكان شقتين.

ونضيف عبارات المفارقة اللفظية على اللسان نفس الشخصية "السيد لا أحد" حيث يقول: «هديه وجدها صدفه قربا مكان النفايات»[2]. ويقصد نفسه أن مراد وجده مشردا قذرا، وعرض عليه لكي يهاجرا ويريح باله من الاعتناء بوالده، الذي أصابه الخرف والشيخوخة، فشعر أنه كلب الذي لحراسة والده إلى أن يموت، يذهب هو الآخر إلى ألمانيا مهاجرا ويتمتع بالحياة هناك بدون مسؤولية.

وللمفارقة اللفظية دور فعال في تقوية النص السردي واتساقه بصنعها معنى دلالي جديد يحمل معنى مناقضا أو جديدا لما قيل لفظيا ومن أمثله ذلك في الرواية عبارات «أحرث المستحيل دائما وأحصد الهباء»[3]. فمع كل الجهد المبذول الذي تبذله شخصية "السيد لا أحد" إلا أنه يحصد فتاة الآخرين فحسب، فالمعنى الخفي هنا هو الفشل وسوء الحظ والإحباط، مما يجده نتائج لعمله

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص25.

[2] نفسه، ص 26.

[3] نفسه، ص 31.

المجتهد، ومن شدة إحباطه يتبع قوله: «السماء تمطر والليلة كئيبة، فرحت مع ذلك لما تذكرت أن عمي مبارك قد أخلف موعده معي»[1].

بعد كل الذي عاناه مشردا منافقا للابتسامات من حوله ليحصل على لقمة العيش ولو من النفايات، رغم كل الفقر والبؤس، إلا أنه فرح بالهدوء الذي جاءه بتلك الليلة الكئيبة، ورغم أن "عمي مبارك" خلَّف موعده معه لكنه فرح بذلك، فمن المفترض أن يتسبب إخلاف الموعد مع أي كان حزنا أو انزعاجا، لكن بالنسبة إلى شخصية "السيد لا أحد" سبب عكس ذلك، وهذا لأنه يستمتع بعزلته بعيدا عن النفاق.

في المفارقة اللفظية في عبارة «جرذان المجاري أنظف مني الآن »[2]. إن الدلالة خفية هنا تكمن في كمية ما يشعر به بقذارة اتجاه نفسه ليس من عدم الاستحمام وقرف شقته فحسب، إنما مما قضاه من ليالي فاجرة مع تلك الفتاة، وهو المعنى الخفي هنا من المعنى اللفظي، وهذا ما ذهب إليه "دي سي ميويك" إلى القول: «المفارقة طريقة في الكتابة تريد أن تترك السؤال قائما عن المعنى الحرفي المقصود، فثمة تأجيل أبدي للمغزى»[3].

يتم الإشارة للحقيقة التي تصنعها المفارقة القوية في عبارة يقول فيها: «لن يقدر أحد أن يكتب سيره بهذه القذارة، مع إنها حقيقة، بعض الحقائق رائحتها قوية، وتفضح أي عطر مهما غلى ثمنه»[4]. المفارقة اللفظية تستخدم حاملة إيحاء أو مقصدا قويا لا يتقبله كل الناس سواء سياسيا أو اجتماعيا. فهنا ما يقصده "السيد لا أحد" أن الحقيقة تغلب عليها الكذب، وذلك لما يتم تزيينها به، فالحقيقة أصبحت القذارة التي يهرب منها الآخرون والناس أجمعون، بينما شبه الباطل والكذب

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص31.

[2] نفسه ، ص33.

[3] دي سي ميويك، المفارقة وصفاتها، ص06.

[4] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص38.

والنفاق بالعطر، الذي يجذبهم هو المعنى الدلالي الخفي من الكلام صنع مفارقة لفظية عميقة المعنى ذات مغزى حكيم فعلا يصف المجتمع الذي يعيشه.

نجد المفارقة اللفظية جملة ذات مدلول حرفيا واضح لكنه يشير أو يصنع مدلولا مناقضا أو جديدا مدلولا ينتبه له القارئ والمتلقي، «فالمفارقة اللفظية هي تغير في المعنى، أو تغير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، ولا بد من حدوث انقلاب في الدلالة »[1]. إضافة إلى أن المفارقة اللفظية هي تغير في المعنى أو تغير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، ولابد من انقلاب في الدلالة، وذلك عبر ظواهر بلاغية[2].

ومن العبارات الدالة على هذا نجد في الرواية عبارات «يجب أن يخوض الرجال معارك الحب مهزومين من البداية»[3]. نجد المعاني الدلالية للكلمات واضحة، لكن هنالك معنى خفي بين سطور هذه الكلمات وبين المعنى الظاهر، فكيف يخوض أي شخص معركة لشيء هزم فيه؟ والمقصود هنا أن الحب له معارك غير منطقية، تكرار المحاولة للنجاح مع الشريك، هو ما يجعله ناجحا، ومعركة فائزة أي الفشل يصنع النجاح.

في جملة أخرى نجد التضاد صنعته المفارقة اللفظية فيه: «أحب أن يموت دون أن يفارق الحياة»[4]. كيف يموت أحدهم بدون أن يموت؟ هذا هو المعنى الخفي الجديد الذي صنع من تضاد الكلام، وهو يقصد أن الموت الذي يريده هو موت شخصيته ومكانته، أي يريد أن يعيش حياة جديدة، ويفتح صفحات بيضاء جديدة يكون فيها شخصا جديدا يصحح بها أخطاء الماضي، ويعيش بدون ندم.

---

[1] نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص32.

[2] ينظر: نفسه، ص32.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص 89

[4] نفسه، ص111.

تقوم المفارقة اللفظية على التضاد بين المعنى الظاهري والباطني، وفي أمثلة نجد التضاد واضحا في المدلول الحرفي، ونستخرج منه المعاني الخفية، ومن أمثلة ذلك «سكنه الأشبه بالزنزانة الفخمة»[1]. هذا القول في سياق وصف ضابط الشرطة رفيق وحياته، وصف سكنه الذي يبيت فيه كالزنزانة فخمة، أي سجن وذلك لأنه لا يستمتع فيه ولا يحس فيه بالحياة إنما سكنه يجعله يشعر بالكآبة وعدم الحرية، وذلك لعدم وجود طفل به ولأن زوجته منيرة جعلته ذات لمسة صارمة كما يصفها، ويقول لاحقا: «أغلب الناس يعيشون حياة بلا معنى مملوءة بكل شيء»[2].

نفهم المعنى الخفي من هذا التضاد القائم بين أن تمتلئ حياتك بمختلف الأنشطة والأشياء والألبسة، وكل ما هو مادي، ومع ذلك تبقى حياتك فارغة، وذلك بفراغ القلب من الحب، وفراغ الحياة ذاتها من الحرية والمتعة التي تحيي الروح.

2- المفارقة الرومانسية:

تبنى المفارقة الرومانسية على أحداث يعيشها الكاتب أو السارد، تكون أحداثها خيالية في عالم خيالي وما يلبث أن يتم تحطيمه من قبل الكاتب بإشارة أو من قبل واقع حياة الشخصية وفطنته من هذا الحلم وهذه الأفكار[3]. وقد وجدنا أمثلة عن هذه المفارقة نذكر منها:

حين غضب "السيد لا أحد" على ثرثرة شخصية "عمي مبارك" صاحب المقهى، وهو يثرثر عليه فيقول السيد لا أحد بنفسه غاضبا «سأبصق على وجهه أو أنزع ثيابي وأجلس معه عاريا ليرحل ويتركني»[4]. صنع "السيد لا أحد" عالما خياليا له وللقارئ، يشمل أفعاله هذه التي لم تحصل ثم بسرعة مثل الوميض الأفكار تحطم هذا العالم بمجرد أن يفكر بشيء آخر.

---

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص84.

[2] نفسه، ص84.

[3] ينظر: مصلح النجار، المفارقة في شعر عرار، ص164.

[4] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص08.

وأما في حديثه عن كيفيه استدراج مراد ليرى والده قبل أن يموت نجد مفارقة رومانسية أخرى «أردت أن استدرجه ليعود، أبوك يحتضر ويرجو لقائك، لا تحرمه من النظرة كنت سأكذب عليه كل كذب العالم، وأهجر المكان فور عودته، رأيت في المنام أنه عاد وإن والده لم يمت أضغاث أحلام»[1]. صنع عالم آخر يقرر فيه ما عليه فعله، إذ رد مراد على مكالماته ليقنعه بالعودة، ويتحرر من هذا الشيخ الذي لا يزال متشبثا بالحياة، السارد في هذا المثال «يوهم المتلقي بواجهة موقف غير متسق، مما يدعوه إلى إمعان النظر على قيم جديدة تناقض وتفارق قيم عالمه المعاش»[2].

في مثال آخر وهو يفكر في كيف تكون الحياة بعد الموت، هل حياتهم بمثل البؤس الذي بالدنيا أين هو؟ فيتخيل عالما لهؤلاء الموتى ويقول: «هل هنالك ازدحام وضجر في الأعلى كما هو الحال عندنا هنا ؟أتصور أن في السماء العليا قاعه تعرض فيها كل الحتميات التي شكلت حياتنا والأقدار الممكنة محتمله لكل من عاشوا على الأرض»[3]. تصور عالم خياليا عالم السماء العليا أين ما يؤمن به، ويفكر أن الأرواح الميتة تذهب إليه فتساءل في مفارقة رومانسية هل الحل عندهم مثل ما هو هنا في حياته؟، وهل تعرض الإجابات هناك؟

تعتبر المفارقة الرومانسية وهما عالما متخيلا في عالم الرواية نفسه، ويتدمر بسرعة بمجرد انتهاء فكرة سرده، من أمثلة المفارقة الرومانسية الموجودة بالرواية نذكر: «لم ينزعج الراقدون بالجوار من ثرثرتهم وكلماتهم البذيئة، الموتى يتمتعون بأعصاب باردة وهم أطول بالا من أي أحد»[4].

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص34.

[2] نعيمة السعدية، شعرية المفارقة بين الابداع والتلقي، ص04.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص14.

[4] نفسه، ص101.

خيل للمتلقي والقارئ أنه أثناء حديث "جلال الأعمش" حارس المقبرة مع الشيخ الإمام في المقبرة ليلا، أنه بدلا من القبور المحيطة بهما، ويحيط بهما الموتى الذين هم كأنهم أحياء لكن باردو الأعصاب لا يردون ولا ينزعجون من ثرثرتهم، وعلى صوتهم ليلا، إن العالم الخيالي في المثال المقدم هو كون الموتى خارج قبورهم، ينظرون إلى الرجلين يثرثران ليلا ولا ينزعجون من ذلك.

في مثال آخر عن المفارقة الرومانسية تظهر في سرد "رفيق ناصري" المحقق الشرطي لحياته، فتخيل عالما حيث يقول: «الطفل المشاكس، ثم الشاب الطموح والعنيد، الذين كان عليهما اختفى وافتح المجال لله مبالاة أن تطغى الأسد لا يحلب، لكنه قد يروض ويلعب في السيرك لإضحاك السذج والجبناء ... سيموت قبل أن يحدث ذلك»[1]. نتخيل على من يظهر فيه رفيق ناصري وهو طفل ثم نسخته الشاب يختفيان ليظهر شكله الحالي في الحاضر، الذي صار يمثل اللامبالاة، فقام وشبه نفسه بالأسد الذي لا يمكنك الاستفادة منه إلا إذا دربته وروضته ليضحك باقي الناس في السرك، وهذا تشبيه لما فعلته خيبة الأمل والفشل به وأيضا المجتمع وخداع أصدقائه له.

في مفارقة رومانسية أخرى عبارة: «انصرف الملاك بعدها، تاركا الشيطان الذي كنت عليه يعيش محنته، يوم ثقيل آخر، و أنا أشبه أنثى ضفدع بلغت لتوها سن اليأس »[2]. نتخيل الشيخ الإمام الذي أتى ليقرأ القرآن على المريض والد مراد ملاكا، وأما السيد لا أحد نتخيله الشيطان على حسب ما يقوله، بينما القارئ يعي المفارقة الساخرة هنا أن الإمام هو الشخص السيئ، والسيد لا أحد هو الشخص الطيب الذي يعاني.

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص95.

[2] نفسه، ص49.

3- المفارقة الدرامية:

المفارقة الدرامية تتشكل حين حصول حدث مفاجئ ينقذ ما كان متوقعا، وهي تمثل عنصر المفاجأة الدرامي، «تقوم على مخالفة ما يتوقعه المرء في الموقف الذي يمر به، فيفاجأ تماما لما في ذهنه»[1].نلاحظ في الرواية "اختفاء السيد لا أحد" كثيرا من تجلياتها، سواء في النص الروائي مباشرة، أو من خلال تطور الأحداث، وما نلاحظه من المفارقة، لاحظنا أمثلة التي فيها حضورا قويا نذكر في بداية الرواية، أول ما تشير إليه الشخصية الرئيسية كونها شخصية غير عدوانية، ومع ذلك تفكر في استخدام العنف، تفكر في استخدام سكين المطبخ لغير استعمالاته كما تشير، فيقول «أملك سكينا في مطبخي، لم أكن في يوم من الأيام عدوانيا لكني أفكر جديا في الاستعانة به خارج استخداماته المعتادة»[2].

الشخصية الرئيسية دائما من تذكرنا في أفكارها مع نفسها إنها تريد أن تفجر غضبها وكيف تريد ذلك، ولكن نجد أفعالها دائما وفية ومتعاطفة مع الشيخ المريض، ومع شخصيات أخرى عديدة مثل شخصية صاحب المقهى "عمي مبارك" حين أتاه الشقة التي يسكن بها، وظل يثرثر عليه فيقول "السيد لا أحد": «الصمت حكمة.. ختم يقول، سأبصق على وجهه أو أنزع ثيابي وأجلس معه عاريا ليرحل ويتركني تخبرني ظنوني إن ذلك ما يريده إنه يحرمني من فسحة الوحيدة بأن أجلس في الشرفة وأتأمل تفاهة العالم إذ يسترها الظلام »[3].

رغم غضب شخصية "السيد لا أحد" وأفكاره المجنونة الغاضبة، إلا أننا دائما نجده عكس ذلك، فهو صابر يصمت وينتظر رحيل من يغضبه، وهنا تكمن المفارقة الدرامية في كل مرة يفاجئنا

---

[1]- نعيمة السعدية، شعرية المفارقة بين الابداع والمتلقي، ص18.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص07.

[3] نفسه، ص08.

بأفكاره الداخلية الغاضبة رغم أفعاله الصادقة، والصبورة الهادئة. وفي مثال آخر تظهر لنا مفارقة درامية بوضوح في تطور الأحداث بينه وبين الفتاة، التي حاولت إغرائه بقطعة ورقة معطرة، تحمل رقم هاتفها حيث في البداية يحرق قلبه عليها، وينكر شعوره نحوها، ولكنه يظل ينتظر أن يرى ولو خيالها في بلكونة الشقة المقابلة له.

ويقول "السيد لا أحد" في ذلك: «في العمارة المقابلة تعودت أن تقابلني في جلسة الليلية الطويلة مراهقة صغيرة تنظر إلي.. تشير إلي بأن أعطيها رقمي...وبأنها وحيدة ومتاحة، أنا عاجز عن ارتكاب حماقة إغواء غريزة مثلها، وزاهد في التحلي بأي فضيلة أو ادعائها حتى أمام نفسي، أريد أن أعيش دون صورة أو انعكاس شرفتها مغلقة، وأنا لا أزال انتظر لا أدري ما الذي يشدني إليها»[1].

بكل مرة وحتى في بداية الأحداث بين هاتين الشخصيتين، تنهمل المفارقات في كل زاوية حدث بينهما، فما بدأ بينهما في بعد بين عمارة وأخرى، وما بدأ بإغواء بحركات يد المبرقة المعطرة، ورقم الهاتف، وأقوى مفارقة تتمثل في رغبة "السيد لا أحد" وتعلقه بتلك الفتاة، ورغم ذلك يقول أمورا ليست بتصرفاته، كل ليلة ينتظر ظلها وخيالها في شقته سواء كان البرد أو جو جيدا ليلا، فإنه ينتظرها، ويلعن نفسه على ما يفعله، وهنا تكمل عنصر المفاجأة الدرامي، الذي صنع هذه المفارقة، إذن المفارقة الدرامية تعتمد أساسا على عنصر المفاجأة، وصنع حدث لم يكن متوقعا من قبل المتلقي فنجد "السيد لا أحد" يقول: «الجو بارد قليلا لكني ملتهب أراقب مطلع خيالها»[2].

بكل ليلة ينتظرها، فيقول غير معترف حتى بأفكاره، وكم أنه يريدها ويحبها «ترى النعاس من عيني، ومضيت إلى الشرفة من جديد، إثبات أقوى على درجه تعلق بتلك الكلبة، طلع النهار

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص10.

[2] نفسه، ص11.

وحرمني من رؤية نور خافت قد لا يحمل أكثر من وهم مخادع وعلى انتظار ليلة القادمة... تبا للانتظار»[1]. يتضح لنا جليا من خلال هذه الأحداث، تم صنع عنصر المفاجأة المميز للمفارقة الدرامية، فنتفاجأ نحن القراء أو المتلقين بأن "السيد لا أحد" يناقض أفكاره تماما بأفعاله، بينما ينكر تعلقه بهذه الفتاة فإن أفعاله تبرهن عكس ذلك، إذ أنه ينتظرها في شرفته ولو كان الليل متجمدا، نجده مترقبا مطلع خيالها.

ونكتشف المفارقة في هذا المقطع أنه لا يزال ينتظر تلك الفتاة رغم أنه يقول أنه لا يهتم بها، ويراها مجرد عاهرة تريد إغراءه، لكنه ينتظر دوما أملا في أن يراها في بلكونة الشقة ليلا ولو خيالها، لعل كل هذا راجع لأثار الوحدة وجوعه في أن يهتم أي أحد به.

تتطور أحداثه بعدها حتى يحالفه الحظ أيام بأن يراها في بلكونة شقته، فيجدها صامتة مع ذلك أكثر جرأة على عكسه فهو خجول ويحتاج الروح الدعابة ثم يفهم إنها لا تستطيع التكلم، ولذلك تشير كثيرا بيدها «إشاراتها صعبة وأنا لا أملك سرعه البديهة، كانت في حالة طبيعية، ثم فقدت القدرة على الكلام لأسباب لم أفهمها»[2]. بعد هذا اللقاء يحاول أن يتصل برقم هاتفها الموجود في الورقة المعطرة التي لا تزال عنده، فهذا اللقاء الأخير جعله متحمسا، يعمل في حبه وأمله أن هذه الفتاة هي الفتاة المنشودة للحب الذي لطالما افتقده.

يقول في الرواية: «بحثت عن الورقة المطوية والمعطرة بحماس غير قليل...اتصلت كانت تفتح الاتصال معي ولا أسمع أي رد»[3]. كان يعيد محاولة الاتصال بها رغم معرفته أنها صماء لا تستطيع التكلم، وهذا ما يجعل ما ذكرناه سابقا مثالا قويا عن المفارقة الدرامية، فنجد موضوع

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص19.

[2] نفسه، ص43.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص44.

المفارقة هنا ما بين الواقع وما ينبغي أن يحصل، كانت أمنيته أكبر من تقبله لواقعه، ومن هذا القول نلاحظ التضاد بين ما يعرفه وبين ما يفعله، فيفاجئنا بأفعاله وانفعاله مع ما يعلم سببه.

يقول: «وددت لو كان بإمكانها أن ترد علي فنتسامر مثل غريبين فتك بهما الحرمان طويلا»[1]. في هذه الأثناء نجده يصفها بالمرأة الطيبة وخاصة حين بكت دموعا وهو يقص لها بعض ما مر به بحياته ليعيشه، وبمجرد أن تدخل شقته ويقضيان الليلة معا في عشق محرم تتغير نظرته كليا بمجرد أن يفهم أنها اعتادت دخول هذه الشقة حين كان يسكنها صديقه مراد، كيف كان يدفع لها النقود لتأتي عنده «المغفلون يدفعون الأثمان مضاعفة في كل مرة سجل مراد حضوره بين فخذ يديها كان تأتي عنده»[2].

تظهر المفارقة الدرامية جليا في مفاجأتنا بهذه المعلومة وكذلك في تحول نظرة "السيد لا أحد" بعدها كليا عن هذه الفتاة، حيث تصبح بعدها نظرته الجديدة عنها، أنه يراها كشيطان مريد بعد أن كان يراها ملاكا صامتا، فيشير بعد هذه الحادثة ب «ليست طيبة على الإطلاق استدلت على القداحة بسهولة في الظلام وأشعلت السيجارة، وعلى السرير أثبتت لي أن فارق الخبرة بيننا كبير ولا يقاس كلبه جنس تعكر مزاجي إلى آخر مدى»[3]. فبمجرد فطرته وفهمه أن هذه الفتاة مثلها مثل فتات وبقايا أكل الآخرين، أحبط وتغيرت نظرته كليا بعدما كانت نارا قلبه حبا وشغفا وبعدما كان يسهر في البرد منتظرا رؤية خيالها من الشرفة المقابلة للعمارة التي يسكن بها، أصبحت سبب إحباطه وحزنه وألمه في قلبه.

نجد مفارقة درامية أخرى بالرواية، وهي مفارقة أن الحب بالنسبة للشخصية الرئيسية مجرد لعنة ولكن أي مفارقة الحب يقتل وليس العكس، ويبدأ بسرد هذه اللعنة أنه منذ أن ولد ماتت أمه

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص 44.

[2] نفسه، ص44.

[3] نفسه، ص45.

أولا ثم أبوه ثم خالته، التي أخذت تعتني به بعده، وفي الأخير وفاة زوجته عمه فيقول: «كنت أعرف أن لعنة تتبعني قضت عليها، أنا بارع في اغتيال من أن يحبني أحدهم فتلك وصفة ناجعة لموت وشيك، أين الحب الذي حملته في قلبي لكل أولئك الذين أحبوني بلا حدود»[1].

يذكر أن له أخا لكن يخاف الرجوع عنده و العيش معه لأنه يحبه وبحبه هذا سيموت أخوه من تلك اللعنة، ويثقل مثل هذا الكلام والمفهوم في تكلمه عن معلم القرآن في القرية وهو يقول عنه: «ولا أظن أنه أحبني كثيرا فمن حسن حظه وإلا كان رحل باكرا فمن يحبني يلقى حتفه»[2]. فالحب أصبح بالنسبة للسارد لعنة ومن يكن له الحب يلقى حتفه، بدل أن يكون أمرا إيجابيا يحيا القلب والناس، وبه تظهر المفارقة الدرامية هنا، إذ أضافت جوا من التوتر، جعلنا نتفاجأ بهذه الأفكار والمفاهيم التي تحملها الشخصية الرئيسية.

بعد هذه المفارقات نذكر حدث مفارقة التدين وكيف حصل في الرواية، حيث كان "السيد لا أحد" في أمس الحاجة إلى المال فجاءه الإمام يدعي أنه يريد استئجار شقته لمده ساعتين أو أكثر، وذلك للقيام بعمليات طرد الجن والشياطين لزبائنه ويدفع "للسيد لا أحد" ثمن الإيجار.

وحين كان ينتظر مرور هذا الوقت ليرجع لشقته ذهب للمقهى عند "عمي مبارك" ملاحظة دخول امرأتان، وحين ذهب ليتفقد الشيخ والد مراد وحالته سمع توجعه، وانتبه على أصوات غريبة من الشقة، التي أجرها للإمام الشيخ، وظن أنها مجرد أصوات المريضة المصابة بالجن، ثم يقول: «مرت دقائق أخرى، صارت الأصوات التي تنطلق من الشقة مريبة، واستعاره الجن لهاثهم بالداخل»[3]. وبعدها انطلق إلى شقته ليستفسر عن هذه الأصوات المريبة، وحين حاول الدخول تفاجئ بما وجد، وهنا حدثت المفاجأة التي صنعت حدثا مفارقا دراميا.

---

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص13.

[2] نفسه، ص16.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص30

«أذهلني وضع الإمام الخمسيني الوقور وهو ممتد على سريري عاريا، ومن كانت بحجابها الأسود قد أصبح يضيق جسدها المشحون بقميص نوم أزرق، كانت ابتسامتها عريضة هذه المرة، و تظاهرها بالمفاجأة لم يكن صادقا جدا..»[1]. تمثل عنصر المفاجأة الدرامي في هذا الحدث مشكلا مفارقة درامية، تفاجئنا مع شخصية "السيد لا أحد" بالرواية بفعل الإمام المتدين الشنيع مع الفتاة، التي ادعت المرض والتدين بلباسها، ووجدهما يقومان بفعل شنيع المتمثل في الزنا، كل هذا يعتبر جوا مفاجأ وصادما للقارئ.

إن المفارقة الدرامية بليغة اللفظ والدلالة وتضيف أسلوبا فجائيا خاصا، ونجد ذلك في كثير من الأمثلة نلمس دور المفارقة الدرامية من خلال النصوص السابقة، تعمل على «تصوير حالة أو حدث أو تبني موقف ما، يمكن من خلال إدراك أبعاد كل منها، أن يرى فيها وجه المفارقة على أن يقوم بالتنبه إلى هذا النمط من المفارقة والوعي بأبعاده وهو المتلقي»[2].

في مثال آخر عن هذا النمط، حديث "السيد لا أحد" عن أيام اشتغاله كزبال (عامل نظافة)، وكيف أثرت فيه حادثة موت صديقه، ونجده يسرد لنا أحداث الواقعة «بقيت مشلولا أتفرج كيف سحقت عجلته الشاحنة بطن زميلي الأقرب إلى قلبي رأيته، عيناه جاحظتان، وربما لمحت على شفتيه نصف حملني ذلك التزمت المسؤولية قال أنه كان بإمكاني أن أسحبه وقد مد الرجل إلي يده، لست متأكدا، حسدته أتاه الخلاص مجانيا وسريعا مثل هدية، غير أنه ابتسم لي ومد لي يده يودعني، أو ليدعوني، للتطهر من الحياة واللحاق به كان طيبا ويحب للخير لاجتهاد مع الحظ

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص30.

[2] دي سي ميويك، المفارقة وصفاتها، ص78.

وعلي أن انتظر فرصتي»[1]. لقد صنع السارد جوا من القلق والمأساة فيما يخص هذه الحادثة، وهي أحد خصائص صنع مفارقة درامية بليغة[2].

بمجرد تعاطف المتلقي يصدمه أو تصدمنا الشخصية برأيها ومشاعرها حول ما حصل، إذا أشار أنه لم يمت بشكل بائس ومخيف، كما كان يظهر بالواقع ولرفاقه، إنما كان فرحا يبتسم ويناديه إشارة للحاق به، واغتنام فرصة الموت فصوّر لنا بشكل جميل وغريب، هذه الواقعة البشعة والمخيفة والمأساوية بشكل جميل وطاهر، وهو ما خلق عنصر الدراما والمفارقة مشكلا مفارقة درامية.

يلفت انتباهنا أن اشتغاله "زبالا" ورؤيته أنه سعيد الحظ بمجرد أن يجد بقايا طعاما غير متعفنة «تقيأت أول مرة ثم تعودت عليه نسيت كرامتي للأبد لا معنى للكرامة وأنت جائع»[3]، ثم يضيف «تعودت معدتي على ذلك اكتسبت مناعة ما، وظل حظي يطلعني أحيانا بدجاج الطازج أو بأكباد الذكر الرومي و قوامه، كنت أقيم حفلة شواء في غرفتي وزاد وزني بشكل لافت بدا أن حظه كان أعلى وأشد كرما»[4].

متابعة لما ذكرناه من قبل، نجد مفارقة درامية على موضوع الجوع والكرامة البشرية، فالإنسان حين يكون جائعا لن يفكر إلا في كيف وماذا سيأكل، وحين يشبع عندها يفكر بأمور الحياة والمتعة الأخرى، وهذه فكرة فلسفية محضر للشخصية في الرواية، ولعل الأسلوب الذي صنعت من خلاله المفارقة الدرامية هو تفاجئنا بهذه المعلومات، وبنظرة هذه الشخصية للحياة

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص37.

[2] ينظر: نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات، ص204.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص36.

[4] نفسه، ص36.

وحظه التعيس، على أنه حظ جيد فكيف تعتبر النفايات كنزا وحياة سعيدة، التضاد هو ما جعلها مفارقة.

يقول "السارد" بعدها: «عثر بعضهم على النقود وأشياء ثمينة، أما أنا فلم يكن نصيبي دائما أكثر من بقايا الطعام أو حذاء متفتت أو سروال أحيل على التقاعد أو مل منه صاحبه، وجدت في أحدى المرات كتابا عن السعادة رميته على الفور»[1]. كما نذكر في أحداث الرواية لطالما كان "السيد لا أحد" مولعا بقراءة الكتب من قبل لكن حالته الفقيرة الجائعة جعلته يفكر فقط في المأوى والأكل الذي سيحصل عليه وهذا المغزى الذي صنع مفارقه في التظاهر بين ما يحتاجه وبين ما يحبه فنفهم المعنى الخفي ونندهش في تغيير أحوال الشخص بمجرد فراغ بطنه وما إلى ذلك من فقر.

يتضح لنا أن المفارقة شكل من أشكال القول، يساق فيها معنى ما في حين يقصد منه معنى آخر غالبا ما يكون مخالفا للمعنى السطحي الظاهر[2]. أو من بين ما تفكر به الشخصية وما تفعله حقا، وما إلى ذلك نجد أحدى المفارقات في هذه الرواية عن شخصية "عمي مبارك"، وقصة حياته حين طلبت زوجته الطلاق لتعيش حياة أحسن لها ولأولادها، ويروي الأحداث التي تحمل المفارقة حيث يقول: «وبقي الألم حيا في قلبه للأبد ذهب الأولاد للعش عند جدتهم كانوا يزورنه أحيانا، البنت الكبرى تشبهها لها ملامحها وفي عينيها لؤم يذكره بها صفعها عندما أخبرته أول مرة بأن أمها تبدو سعيدة مع زوجها وبأنها تتعلم السياقة»[3].

وتظل شخصية "عمي مبارك" حاقدا على زوجته ويريد أن ينتقم منها لكنه لا يفعل «سيرث أزواج بناته ما اكتنزه طوال حياته دون شكر أو تقدير وربما لو أتيح لأحدهم أن يبول على قبره بعد

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص36.

[2] قيس حمزة الخفاجي، المفارقة في شعر الرواد، ص59.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص76.

موته»[1]. أنانيته وبخله، صور له هذه المشاهد، التي تضفي سمة المفارقة فيما يريده قلبه المتسلط الحقود، وكيف يصور لهما ما سيحصل.

4- المفارقة السردية:

للمفارقة أنواع مختلفة، منها المفارقة السردية وهي أكثر حضورا في النص الروائي بعد المفارقة اللفظية خاصة، حيث توظف المفارقة لتؤدي وظائف متعددة من بينها الإصلاحية والسخرية، إذ هي «وسيلة الفنان لتحقيق التوازن هي فهم التناقضات التي يقوم عليها العالم، وهو ما يؤدي إلى الحفاظ على نوع من التوازن في عمله الفني بين اليقين العاطفي، والتحفظ المشوب بالشك وقد تكون المفارقة سلاحا للهجوم الساخر»[2].

تنقسم المفارقة السردية إلى تقنيتين، وهما الاسترجاع والاستباق، ولقد توفرت رواية "اختفاء السيد لا أحد" بنصيب وافر منهما، حيث نجد حضور بشكل عام من الاستذكارات التي هي اختصار للماضي وإحيائه كي يطفو على صفحات الآن، وتعتبر كذلك الذاكرة المخزنة، أيضا نلمس توفر الاستباقات «فالراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان بشكل يطابق زمن القصة، ولكنه يقطع بعد ذلك السرد يعود على وقائعه تأتي سابقة في ترتيب زمن السردي عن مكانها الطبيعي في زمن القصة، وهناك أيضا إمكانية استباق الأحداث في السرد، بحيث يتعرف القارئ على وقائع قبل أواني حدوثها الطبيعي في زمن القصة، وهكذا فإن المفارقة، أما أن تكون استرجاع أحداث ماضية أو تكون استباقا للأحداث لاحقة»[3]. وبالتالي فإن الرواية توفرت على مفارقات قد تكون استرجاع لوقائع وذكريات انقضت، أو استشرافا لأحداث آتية.

---

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص81.

[2] الحويطات مفلح، المفارقة في رواية ليلة عسل لمؤنس الرازي، مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، العدد 28، 2014،ص6.

[3] حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص74.

1) الاسترجاع: ينقسم إلى نوعين الخارجي والداخلي.

أ. الاسترجاع الخارجي:

الراوي يسرد أحداثا انقضت، لكونه يدرك القصة من البداية إلى النهاية، فينبغي على الراوي أن يختار نقطة الانطلاق التي تبدأ منها الرواية، حيث تقول "سيزا قاسم": «ولما كان لابد للرواية من نقطة انطلاق تبدأ منها، فإن الروائي يختار نقطة البداية التي تحدد حاضره وتصنع بقية الأحداث على خط الزمني من ماض ومستقبل، وبعدها يستطرد النص في اتجاه واحد في الكتابة غير أنه يتذبذب ويتأرجح في الزمن بين الحاضر والماضي والمستقبل»[1].

في هذه الرواية تكثر المقاطع الاسترجاعية التي تتداخل فيها الذكريات، شخصية "السيد لا أحد"، حيث تكمن وظيفة الاستذكار في توضيح بعض الجوانب أو القضايا الغامضة أو بعض الشخصيات وطبيعتهم، فتساعد بذلك القارئ على فهم هذه الشخصية، واستكشاف أبعادها النفسية والاجتماعية والفكرية.

ومن الأمثلة الواردة لهذا النوع من الاسترجاعات في الرواية نجد في بداية السرد يقول "السيد لا أحد" «لم أكن في يوم من الأيام عدواني، لكن أفكر جديا في الاستعانة به خارج استخداماته المعتادة إن استمر هذا الشيخ المقرف في ثرثرته»[2]، إن السارد يصف نفسه بأنه لم يكن عدوانيا، وذلك بالعودة إلى الوراء فدل الزمن على الماضي ليأتي ويفارقه بزمن الآخر في الحاضر.

يتذكر حدثا آخر «التقط قبل أيام ورقة أسفل شرفتها، قطعت اعتكافي ونزلت متباطئا لالتقطها، كانت خفقاتي تنتظم على إيقاع آخر»[3]. السارد استحضر المراهقة في ذاكرته حيث أن الماضي قريب فالحدث وقع له قبل أيام. أيضا استرجعت شخصية "السيد لا أحد "ماضيه مع

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص41.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص07.

[3] نفسه، ص10.

النساء «تاريخي مع النساء يدعو للخجل، أنا عديم الخبرة ولا شيء قد تغير منذ كنت مراهقا سوى أني صوت خامد، محض رماد»[1].

في نفس المقطع يستحضر السارد شخصية "عمي مبارك" «أتذكر عمي مبارك كان قدومه إلا إيذانا بليلة تشبه وجهه.. لا نور الشرفة المقابلة لاح لي ولا أنا قرأت شيئا»[2]. نجد أن السارد يعود إلى الوراء، حيث تتجلى هذه التقنية الزمنية حضورا في النص الروائي بشكل أقل من خلال تحايل الراوي وتلاعبه بالتسلسل الزمني، إذ ينقطع على الزمن الماضي ويستحضر الماضي ليكون جزء من نسيجه «إن التسلسل الزمني على الدوام العنصر الأكثر قابلية لتأدي بين عناصر الذاكرة، كما أنه أسبقها إلى الوقوع تحت مفعول الكبت»[3].

نرى أن شخصية السارد "السيد لا أحد" وهو يسرد حياته يتوقف كثيرا تحت مفعول الكبت، وقد يعود فيستخرج ما كبته، فيقول متذكرا: «مرت سنوات طويلة، بعدها كنت أجلس في بيتزيريا في شارع حسيبة جائعا، ومخذولا، عندما رأيت منقذي يدخل»[4]. هذا الاستذكار يسترجع مكبوتات عاشها في زمن بعيد كان جائعا أو فقيرا في الماضي فيأتي بالزمن الحاضر بمجيء منقذه.

المتأمل لهذه الاسترجاعات الخارجية، يجد استرجاعا خارجيا بعيدا المدى قد يمتد لسنوات وهناك استرجاعات قصيرة المدى، وتحديد مدى المفارقة يعتمد على المسافة الزمنية التي تتفاوت بين الماضي بعيد وآخر قريب، مثال ذلك «كان يهتف لي مره كل شهر ليطمئن على والده، أنه فاشل في التمثيل ويفضحه صوته، أظنه كان يريد أن يسمع خبر وفاته، وتوقف تماما عن السؤال

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص11.

[2] نفسه، ص 11.

[3] سيمغويد فرويد، التحليل النفسي للهيستيريا حالة دورا، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ص22.

[4] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص12.

عنه منذ ستة أشهر»[1]. القارئ في هذا الاستذكاري يستطيع أن يحدد المدى بدقة فقد عمد السارد إلى ذكر الفترة الزمنية، التي تدل على تاريخ الاسترجاع.

المفارقة الزمنية حاضرة في كل وحدة من وحدات الرواية وبكثافة، حيث أن الروائي "أحمد طيباوي" يسعى إلى تكسير خطية الزمن، فيقدم لنا هذه الاسترجاعات على أنها في الحاضر لأن السارد يحكي عن ماضي وهو حاضر فيه إلا أنه سرعان ما يغير مجرى الأحداث متوقفا، وهذا ما يسمى بالمفارقة، حيث يقفز من زمن إلى زمن آخر.

نلمس مثال آخر يوضح التشعب في التسلسل الزمني داخل الترتيب النصي «كان مراد نزقا ومندفعا، ومع ذلك اعتبره طيبا على نحو، لكنه زير نساء، إذا كان من الضروري الانتقال إلى الضفة الأخرى ونعته بالأوصاف المناسبة»[2] بهذه الفقرة يصف السارد صديقه مراد، وتظهر المفارقة من خلال نعته مندفعا، وفي نفس الوقت اعتبره طيب فهنا تناقض في الصفات لنفس الشخص.

يواصل السرد في استرجاع ذكرياته الحزينة وطفولته البائسة، وتنقله من بيت إلى بيت آخر ليعيش فيه «توفيت خالتي قبلها بأيام وصرت فائضا على الحاجة وبعد انتهاء العزاء لم انتظر حتى يصرح لي أبنائها بذلك»[3]، وكذلك استحضر في ذاكرته صور والدته التي لا يكاد أن يتذكرها «صورة أمي في ذاكرتي غير واضح، بعيده ومشوشة، ولا عاطفة تشدني إليها، أحيانا أفكر أني ولدت دون أم من ظهر أبي لما سقى بمائه التراب»[4]. في هذا المثال نلاحظ أن السارد لا يحمل أي عاطفة اتجاه والدته لدرجة أصبح تفكيره بأنه ولد من ظهر أبيه و من هنا القارئ يكتشف بأن السيد لا أحد ليس له مشاعر.

---

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص15.

[2] نفسه، ص17.

[3] نفسه، ص13.

[4] نفسه، ص13.

وفي نفس الصفحة يتذكر زوجة عمه وحياته مع بناتها «غارت مني بناتها وضربتني أحيانا، كنا يكبرنني سنا بكثير، تلصصت عليهن كثيرا وهن تغتسلن، أو تغيرن ثيابهن»[1]، وبالتالي الراوي أثناء السرد يستدعي وقائع حدثت في الماضي، قبل نقطة الصفر حاضرة التلفظ، إذ يرتبط الاسترجاع الخارجي بعلاقة عكسية مع الزمن السردي "فكلما ضاق الزمن الروائي شغل الاسترجاع الخارجي حيزا أكبر»[2].

الوظيفة التي قامت بها هذه المفارقة تتمثل في «منح القارئ حسا اكتشافيا يظهر في نطاقه، العلاقات الخفية التي تحكمت في النص، ومن ثم منعه من الانفعال المباشر السريع»[3]. وبالتالي يرتبط الاسترجاع الخارجي «بعلاقة عكسية مع الزمن السردي في الرواية الحديثة نتيجة لتكثيف الزمن السردي»[4]. يتبين من خلال هذا النوع من الاسترجاع، قام الكاتب بتوظيفه في الرواية بشكل أقل مقارنة مع الاسترجاع الداخلي الذي توفرت الأمثلة عنه بكثرة.

ب. الاسترجاع الداخلي:

الاسترجاع الداخلي هو الذي يستعيد أحداث الماضية، والتي لها علاقة بأحداث الرواية الرئيسية، وشخصيتها المركزية، ومسارها الزمني متوحدا مع مسار هذه الأحداث، «الاسترجاع الداخلي وتطلب ترتيبه القص في الرواية، وبه يعالج الكاتب الأحداث المتزامنة، حيث يلتزم تتابع النص أن يترك الشخصية الأولى، ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية»[5].

للاسترجاع الداخلي ضروري الحضور في الرواية، فالكاتب استخدم هذه التقنية الزمنية في الرواية بكثرة، نعين بجلاء الاسترجاع الداخلي مثالا عن هذا «كنت أكبر من أن أكون ابنا لها، ومع

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص15.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص59.

[3] نعيمة السعدية، شعرية المفارقة بين الإبداع والمتلقي، ص09.

[4] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص58.

[5] نفسه، ص61.

ذلك أحزنني قليلا أننا سنفقد ظلها، الأمر هين علينا، كنت والشيخ مجرد يتيمين كبيرين»[1]. يتذكر السارد هذه الذكرى التي تلح كثيرا على فضل المرأة ومكانتها، وحزنه عليها بعد رحيلها، في هذا المقطع أسهم إلى حد بعيد في تغير مشاعر شخصية "السيد لا أحد"، الشخص الغير المهتم البارد من النقيض إلى النقيض، وهذه ما تسمى بالمفارقة السلوكية.

وفي استرجاع داخلي آخر من الرواية «كنت مدللها في المستشفى، ورأيت زميلاتها يتبادلن الغمرة للسخرية منها، فأخبرتها أن الغيرة تفعل بالنساء أكثر من ذلك »[2]. يتضح لنا من خلال هذا الحدث الماضي أن شخصية "لا أحد" بعد ما لم يحظى بالحب والدلال إلى أن الممرضة قدمت له الاهتمام و المساعدة، رغم أنه كان يتلاعب بها من أجل غايته.

يوظف الروائي الاسترجاع الداخلي كذلك «لغرض حوادث بأكملها وقد تمتد عدة أيام بعد وقوعها»[3]. ففي استذكار آخر «كان انعزاليا يتفادى الجميع وأحيانا لا يرى لأسابيع، مصابيح شقتهم مضاءة لكن لا صخب، بالداخل صاحب المسكن الميت، كان رجلا مسنا وخرفا وله ابن وحيد ومهاجر في ألمانيا»[4]. نلاحظ من خلال هذا الاستذكار استحضار صورة "السيد لا أحد" في ذاكرة الشهود، وقد وصفوه بشخص منعزل مع وصف غرفته، مع تقديمهم معلومات لصاحب البيت والد مراد، لحظات تنطلق من الحاضر لتعانق الماضي قريب المدى.

وفي نفس السياق يستمر هذا الاسترجاع الداخلي «كانت مشاكله مع الجيران كثيرة يجلب نساء لشقته، وفي مرة ألقوا عليه الأطفال والنساء فحاصروه، حتى جاءت الشرطة، خرج بفضيحة

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص34.

[2] نفسه، ص42.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص62.

[4] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص62.

ولم يعد من يومها»[1]. ويستعيد حدثا آخر، حيث يقول السارد «كانت سعدية تتولى كل شيء وحديثها عن لقاءات قليلة معه يعوزه الصدق الكامل، تريد أن تتفادى إدخالها في متاهة تحقيق جنائي»[2]. في هذه الاستذكارات الداخلية نجد الروائي يستدعي الأحداث الماضية التي تمت في حاصل السرد، ليقوم بوظيفة فنية تتمثل في الكشف عن شخصية مراد وماضيه الأسود مع الآخرين.

وفي نفس الصفحة يعود الراوي إلى توظيف الاستذكار الخارجي قريب المدى «أما مراد فخطب فتاة من أقاربه وقبل موعد الزواج بأسبوع فسخ الخطبة، وبعدها بثلاثة أشهر غاب ولم يره أحد»[3]. ويبدو فيه تحديد المدة سهلا جدا حيث تعود الذاكرة إلى قبل ثلاثة أشهر، هكذا نجد أن الاستذكارات القصيرة قد شغلت مساحة المكانية واسعة على خريطة النص الروائي، في ذلك يعود إلى طبيعة الرواية فهي متوسطة الحجم، وطبيعة أحداثها الماضية وشخصيتها أيضا تقتضي بالضرورة العودة إلى الماضي لفهم الحاضر.

كثيرا ما جاءت الاسترجاعات في رواية "اختفاء السيد لا أحد" ليدرك المتلقي الأحداث، ويستوعب الرواية، وأيضا أدت هذه الاسترجاعات وظيفة التذكير من خلال التكرار، والعودة إلى الوراء أيضا لتزويد القارئ بمعلومات تساعده على ربط الوقائع وفهمها «بمعلومات تكميلية تساعده على فهم ما جرى ويجري من أحداث، إنه يمثل نوعان من التمازج والتنافر على مستوى المحكي، فهو إذا مستوى حكائي مخالف لمستوى المحكي الأول»[4]. و كذلك الاسترجاع « هو الذي يسد

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص66.

[2] نفسه، ص 68.

[3] نفسه، ص67.

[4] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، الهيئة المصري العامة للكتاب، 1993، ص135.

نقصا حاصلا في السرد، إنه تعويض عن حذف سابق»[1] و بالتالي دور الاسترجاع هو ملئ الثغرات داخل النص الروائي.

وفي الأخير يجد المتأمل في رواية "اختفاء السيد لا أحد" أن تقنية الاسترجاع الداخلي والخارجي، قد تم توظيفهما في هذا النص الروائي الخاضع للجدل الأزمنة وتداخلها ببراعة وفنية تامة، من خلال المزاوجة بين الماضي والحاضر مع منحها الكثير من الشخصيات الحكائية فرصة الحضور في زمن السردي الحاضر، و ذلك بتسليط الضوء عليها من خلال استرجاع مواقف من ماضيها، وبالعودة إلى هذه الرواية نجد أن الحاضر يؤطر جل العمل الروائي كون الأحداث المسرودة علينا تقع في الزمن الحاضر، وبالتالي نجد أن المفارقة الزمنية تحدث عندما يخالف السرد ترتيب أحداث القصة لأحداث ماضية لحظة الحاضر.

2) الاستباق:

الاستباق عكس عملية الاسترجاع فهو «مخالفة لسير زمني السرد، تقوم على تجاوز حاضري الحكاية، وذكر حدث لم يحن وقته بعد، والاستباق شائع في النصوص المروية بصيغه المتكلم، ولا سيما في كتب السير والرحلات، حيث الكاتب والراوي والبطل أدوار ثلاثة يمثلها فرد وأحد، وهذا الاختلاط في الأدوار يؤدي إلى تداخلها، وبالتالي هي لا تدخل أزمانها، ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب أو شكله تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل»[2]. وبالتالي الاستباق يصور لنا أحداثا قادمة، فيتجاوز أحداث الحاضرين لكنه يشكل مساحة أقل من الاسترجاع في الرواية.

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية،ص 20 .

[2] نفسه، ص15

وينقسم بدوره إلى استباق خارجي وداخلي، ما نلاحظه أن الاستباقات كثيرة في هذه المدونة الروائية رغم أنها أقل مقارنة بعدد الاسترجاعات، إلا أنها لعبت دورا مهما في توجيهنا نحو التطلع للأحداث، واحتمال وقوعها قبل أن تحدث، وخاصة الاستباقات الداخلية التي ساعدت على الكشف والتمهيد في بعض الأحيان عن نهاية بعض الأحداث بشكل صريح، ومنه المقطع الاستباقي هو أحدى تجليات المفارقة الزمنية على مستوى نظام الزمن بصورة سريعة، وللتوضيح أكثر نذكر أهم الأمثلة الواردة في الرواية.

أ. الاستباق الخارجي:

يعتبر الاستباق الخارجي «عبارة عن استشرافات مستقبلية خارج الحد الزمني للمحكي الأول على مقربة من زمن السرد أو الكتابة دون أن يلتقي طبعا، وهو أقل استعمالا بالنسبة للصنف الثاني»[1]. ومنه يتضح لنا أن الاستباقات الخارجية كان لها حضور أقل مقارنة بالاستباقات الداخلية، التي تستعمل بكثرة في المدونة الروائية، كثيرا ما يستشرف السارد أحداثا يكون وقوعها في المستقبل متجاوزة الحكي الابتدائي «إذا وقفنا فيه (قالها هكذا بصيغة الجمع) ستصبح ملكا»[2]. يتضح لنا بأنه يمكن أن يكون ملكا احتمال أن يتحقق أو لا يتحقق ذلك.

وهناك استباق آخر غير محقق، فقط تمثل في تخمينات السارد بقوله «راودني توقع قوي بأنها ستنال مني لن أكون فريستها الأولى ولا الأخيرة ...مجرد ذكر يسجل حضوره بين فخذيها، مثله مثل الكثير قبله وبعده»[3]. هذا المقطع كفيل بالتطلع إلى الأحداث التي ستجمع بين السارد والفتاة التي أرادت إغراءه، معتقدا أنها ستنال منه وبأنه ليس الفريسة الوحيدة.

---

[1] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، ص136.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص09.

[3] نفسه، ص10.

وفي مثال آخر «رجع بعدها في الليل، قبل تجييبني والده وطلب منه أن يسامحه، تيقنت ساعتها بأنه لن يعود أبدا»[1]. توقع السارد رحيل مراد بلا عودة، وظيفة هذا الاستباق التطلع إلى المستقبل وإعطاء معلومات من المحتمل تحققها، إضافة إلى ذلك« يتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب، أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن الستقبل»[2]

نقدم أمثلة أخرى، من بين هذه الاستباقات الخارجية ندرك أن الشخصيات في هذه المقاطع وضعت تصورات مستقبلية وأحداث قد تتحقق وقد لا تتحقق، مما جعلها ترسم مستقبل مجهول الملامح. حيث يقول السارد: «لم يبقى في جيبي سوى ورقة من ألفي دينار، لا تفعل شيئا، ليته يموت لماذا يتشبث بالحياة؟ سيبقى الأمر معلقا إلى الغد أو إلى الأبد»[3]. السارد يستشرف الأحداث في تخميناته المتمثلة بحياة الشيخ، ومتى سيأتي أجله متوقعا موته غدا أو عيشه إلى الأبد معه.

كما نجد استباقا آخر وهو النظرة السوداوية التي ينظر بها السارد إلى ما سيحل بوالد صديقه فيقول: «كان بودي أن أرجو الطبيب المتهجم بأن يحقنه بما يجعله ينام طويلا، نوما يشبه الموت، غيبوبة عميقة، لن أحتج، بالعكس، سأكون ممتنا لملامحه الجهنمية التي تظهره قريبا من القتلة»[4]. هذا المقطع حوار بين شخصية "السيد لا أحد" ونفسه، بينما كان مع الطبيب الذي يفحص الشيخ المريض بمرض الزهايمر، فقط تدخل في باب المتوقع حين يستشرف المجهول بتخمينه ويتوقع أحداثا على سبيل الافتراض.

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص18.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص16.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد،ص21.

[4] نفسه، ص 21.

ومن قبيل التوقعات المستقبلية يقول «وقال أنه لن ينجب أولادا لكي لا يحمل وزرع العناية به أحد منهم عندما يكبر، أظن أنه اتخذ قراره النهائية ولن يكون أبا لأحد ولا ابنا سوى لنفسه»[1]. إشارة إلى كسر خطية الزمن على شكل قفزة زمنية إلى الأمام من الماضي ليقفز إلى المستقبل المجهول.

أما الوظيفة التي قام بها هذا الاستباق، جعل القارئ يتتبع تطور الأحداث إلى النهاية على أمل أن يتحقق هذا التوقع، إلا أن هذه الاستباقات لم تتحقق رغم طول الترقب والانتظار وحدث عكس ذلك، حيث أن شخصية "السيد لا أحد" حزن كثيرا لموت الشيخ، وتزوجه بالممرضة في النهاية التي كان يتلاعب بها سابقا.

ب. الاستباق الداخلي:

نقصد بالاستباق الداخلي الإشارة إلى مواقف سوف تحدث لاحقا، إلا أنه يبقى داخل الحقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في الرواية، عكس الاستباق الخارجي الذي يصرح بالخبر مباشرة، وهذا الصنف أكثر استعمالا في الرواية. بحيث يتخذ طريقا آخر للكشف عن الحدث، مقارنة بالاسترجاعات «إلا أنه يتميز عنه في كونه يؤدي دور الإعلان (l'annonce) في مقابل دور التذكر تلعبه الأخرى (le rappel)»[2].

ومن الاستباقات الداخلية الإعلانية في الرواية نجد استشرافا على لسان السارد: «اتفقت مع الممرضة، لن أعود للقاعة الكبرى أبدا سأهرب الليلة، ظهر على ملامحها الحزن الحقيقي»[3]. استرد صغر رؤية مستقبلية تكمله بلاغة تحققها إلا أنه حدث عكس ما قاله، كما ورد في هذا المقطع السردي صورة أشد وضوحا في رؤية شخصية "السيد لا أحد" «تأسفت من أجلها في داخلي وعدتها

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص18.

[2] عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، ص136,135.

[3] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص22.

بأن أتزوجها سنكون معا للأبد يا حبيبتي وصدقيني»[1]. نرى من خلال هذا المقطع وظيفة المفارقة هنا شد انتباه القارئ، وجعل ذهنه محشودا ينتظر ماذا سيحدث متشوقا قلقا على أحداث الرواية المستقبلية.

أيضا وردت مقاطع في الرواية تدل على الاستباق الداخلي منها: «الأقدار تهزم الجميع، هذه حقيقة لن أسمح لأحد أن يناقشني فيها بعد اليوم، مثل أن قدر هذه الشقة القديمة أن تكون وكرا للفجور مهما كان من سيسكنها، ومثل أن قدري أن أكون محروما دوما»[2]. لقد جاء هذا الاستباق مشيرا لموقف سيأتي لاحقا، بأن يعيش السارد محروما طيلة حياته، ويؤكد لنا أن الشقة ستبقى للفجور. فهنا يطرح التساؤلات على نفسه حول مصيره، والمتلقي يجتهد ليكشف تأويلاته ويشارك في الإجابة بهذه الوظيفة، وهذه التساؤلات التي تجعل القارئ قلقا حائرا يقوم في المساهمة على بناء النص.

وفي مقطع آخر من الرواية «قضيت نهاري نائما، واستيقظت بعد الظهر، حلقت ذقني واجتهدت في أن أكون نظيفا وأنيقا، رجلا يمكن أن تشتهيه امرأة حتى وإن كانت خرساء»[3]. استعمل الراوي إيحاءات ورموزا قد تجعل القارئ يشعر أن كل ما يحدث في داخل النص ليس بالصدفة، وإنما يتعمد الراوي حدوثه، وبعد أن يربط القارئ معناه ويصلها بسير الأحداث يفهم مشاعر الشخصية.

يتابع الراوي سرده للأحداث في الصفحات الموالية: «راودتني فكرة أن أخرج الشيخ وأرميه في أي دار للعجزة وهناك سيعرفون كيف يهتمون به»[4]. بهذه العبارة أشار السارد إلى طريقة جهنمية

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص23.
[2] نفسه، ص30.
[3] نفسه، ص 43.
[4] نفسه، ص49.

تخلصه من الشيخ متوقعا أنهم سيهتمون به في دار العجزة، إضافة إلى الأمثلة السابقة نجد استباق داخلي آخر «سيختار شابة جميلة ولحيمة أرملة أو مطلقة وأنجبت من قبل المحاكم مليئة بأمثالهن فقيرة يبحثن الستر فقط»[1].

فيضيف «ستنجب منك الولد ثم تقتلك لتنال كل شيء»[2]. في هذين المقطعين، نلمس التوقعات واحتمالات فكر بها "عثمان" إما أن يتزوج لينجب ولدا، أو يموت على يد زوجته وتسلبه كل شيء. قد يكون الهدف من تقدم الأحداث اللاحقة «تهيئة القارئ لما سيحدث في المستقبل بدون الكشف ضرورة عن تفاصيل هذه الأحداث»[3].

وخلاصة القول عن المفارقة السردية بعد أن وظف الكاتب تقنيتي الاسترجاع والاستباق، وذلك بالتلاعب الزمني من الماضي إلى الحاضر ليقفز للمستقبل و به يتم كسر رتابة خطية الزمن، نقول أنها تيمة فنية حاضرة في مجمل النصوص الروائية عامة، وفي رواية "اختفاء السيد لا أحد" خاصة، لما كان استرجاعه في استعادة الماضي الشخصية الروائية، وعلاقتها وعالمها الخاص بها والربط بين ما كانت عليه وما آلت إليه، إضافة إلى ملء الثغرات الموجودة بين مسافة السرد مع كسر التتابع السردي، في حين دور الاستباق يكمن في إضاءة مستقبل الشخصية الروائية، وهذا ما منح السرد حيوية وبعد جمالي جذب انتباه القارئ، وتوجيه فكره لمتابعة تطور الشخصية والحدث من خلال الاستشراف فيصبح مساهما في بناء النص.

---

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد ، ص81.

[2] نفسه، ص82.

[3] بسام بركة، مانيو قويدر، هاشم الأيوبي، مبادئ تحليل النصوص الأدبية، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 2002، ص108.

5- مفارقة الموقف:

هناك اختلاف شاسع بين مفارقة الموقف والمفارقة اللفظية، يكمن هذا الفرق في أن «المفارقة اللفظية لابد من أن تتضمن وجود صاحب المفارقة (ironiste) شخص يقوم بأحداث المفارقة، أو شخص ما يوظف تكنيكا عن وعي وعن قصد متعمد أما مفارقة الموقف الناتجة عن موقف ما، فإنها لا تتضمن بالضرورة وجود شخص يقوم بالمفارقة، لكنها مجرد حالة، أو ظرف، أو نتيجة لأحد من شأنها أن تضيف إلى ذلك، ويتم رؤيتها بالشعور بها كنتيجة مفارقة، وفي كل النوعين المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف يوجد شكل من أشكال المواجهة أو المقابلة، حيث يتم وضع شيء بجانب شيء آخر من الأشياء المتعارضة »[1].

تجسد الرواية مواقف تتعرض لها شخصية "السيد لا أحد" وبقية الشخصيات، وذلك بالانتقال من حالة إلى أخرى، وحين كان موضوع المفارقة هو الفكرة التي تدور عليها، فإنها صنعت مفارقة الموضوع داخل النص الروائي، ومنه فإنها تعدد المواضيع واختلافها هو ما يصنع مفارقة الموقف والتي تجسد كيفية تناول الروائي "أحمد طيباوي" لهذه المواقف.

وظف الكاتب في الرواية جملة من مفارقة الأحداث، ويصادفنا الحدث الأول الذي حصل مع السارد فقد كان التناقض واضحا عليه في رغبته أن يكون حرا كما في السابق، بينما الوقائع الخارجية والظروف فرضت عليه البقاء مع والد صديقه مراد والاعتناء به، ومع ذلك كان يفكر في التخلص منه فيقول: «أملك سكينة في مطبخي لم أكن في يوم من الأيام عدوانيا، لكني أفكر جديا في الاستعانة به خارج استخداماته المعتادة، إن استمر هذا الشيخ المقرف في ثرثرته»[2]. تحققت

[1] علي نجاة، مفهوم المفارقة في النقد الغربي، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، عدد 53، 2008، ص71.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص07.

المفارقة من خلال تغيير السارد حالة الشخصية من عدواني المجرم، وتحول حياته من سكينة وهدوء إلى حياة فوضوية ومليئة بالضجيج.

وفي خضم هذا الواقع الجديد، الذي يواجه البطل العديد من مواقف أخرى، يسرد لنا بعد وفاة خالته ترك المنزل، وظنه أنه شخص زائد فيقول «توفيت خالتي قبلها بأيام، وصرت فائضا عن الحاجة، وبعد انتهاء العزاء لم انتظر حتى يصرح لي أبنائها بذلك، اعذرهم أنا نفسي أرى أني زائد أينما ذهبت»[1]. يتضح لنا من خلال هذا المقطع الظروف القاسية التي عاشها البطل، ومحاولة التعايش مع الواقع الذي فرض عليه، فالتخلي عن مكان عاش فيه ليس سهلا.

وتبقى الظروف هي التي تتحكم في تصرفات وأفعال شخصية "السيد لا أحد" حيث لم يعد له مأوى أو مكان ينتمي إليه، فحتى زوجة عمه توفيت هي الأخرى، ولذلك قرر الرحيل والاستقرار بعيدا عن أخيه لاعتقاده أن لعنة الموت تصاحبه وتخطف منه كل من أحبه. «أنه يشتاق لي وعلي العودة لسرج الغول اشتاق له الآن جدا أعرف أنه يحبني وأني مقصر في حقه، لكن انقطع عنه من أجل مصلحته»[2].

تأتي المفارقة هنا على لسان السارد فرغم شوقه الكبير لأخيه، إلا أنه يتراجع ويغادر من أجل مصلحته معتقدا أن لعنة ما ترافقه وهي لعنة الحب أي شخص يحبه يموت، هذا الحدث ترك مساحة للقارئ ليتابع بقية المواقف، التي ستتعرض لها تلك الشخصية ومنه «تحفيز القارئ على التأمل وتنشيط فكره في موضوع المفارقة»[3]. إضافة إلى ذلك يجدر بنا القول من خلال هذه الأحداث المتناقضة، أن للتضاد طاقة توليدية لحركة التداعي والاستدعاء والتحول والتفاعل، ما

[1] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص13.

[2] نفسه، ص14.

[3] نعيمة السعدية، شعرية المفارقة، ص09.

يرافق ذلك من انبثاقات داخلية مفاجئة، ففي التضاد تغيير وكسر لحركه المألوف، وفيه كذلك انحراف عن أفق توقع القارئ[1].

سارت بداية الأحداث في الرواية بسرد هموم "السيد لا أحد" ومحاولته التخلص من والد صديقه مراد، و كم أنه يتمنى أن يموت ليرتاح و يتخلص من العناية به، قد حصلت المفارقة في هذه الأحداث، إذ أن شخصية "السيد لا أحد" تجاهل ما يريده هو و ظل يعتني بالشيخ، وينفق من ماله ليطعمه ويشتري له حفاظات، يقول: «ذهبت باكرا جدا للمقهى تناولت فطوري على الحساب ثم تذللت لعمي مبارك بابتسامة لأول مرة، كنت محتاجا لأن يقرضني أي مبلغ جاركم الشيخ المسكين مريض»[2]. نلاحظ أن الضحية تغير نمط تفكيره من ناحية العناية بالشيخ، فتغيرت الأحداث وإذ به يتذلل لـ "عمي مبارك" ليقرضه مالا ليسد حاجته وشفقه على والد صديقه وهنا تظهر المفارقة بلين قلب "السيد لا أحد" بعدما كان قاسيا وعدوانيا.

تجري الأحداث من هذا النوع من المفارقة بإحضار "السيد لا أحد" الشخص الصالح ليقرأ على والد مراد الذي تدهورت صحته فخشي عليه، وتوقع أن يشفق الرجل الصالح ويعطيه نقودا فيقول: «جعل يدعو له وانتظرته أن يضع يده في جيب العجوز الجائع والكلمات لا تسكت الأمعاء الخاوية أخيرا سبّق لي مبلغا، وأنّبت نفسي على سوء الظن»[3]. هنا خاب توقع "السيد لا أحد" حين ظنه رجلا صالحا، وتغيرت زاوية نظره نحوه بالاطمئنان له، إلا أن غاية الرجل كشف عن حقيقة زيارته مقترحا أن يحضر مرضاه لرقية شرعية مقابل ذلك يعطيه نصف ما يقبضه.

---

[1] ينظر: إبراهيم أمين الزرزموني، تأويل الخطاب الشعري: النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010، ص144.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص27.

[3] نفسه، ص 27.

الملاحظ تحول السارد عن سوء ظنه بالرجل الصالح، وموافقته على طلبه سيغير في مجرى الأحداث فيما بعد، خصوصا أن الوسيلة التي استخدمها أصبحت غاية، فنجد أن «تناقض نتيجة الأحداث يغير الزمان المتوقع، والتناقض بين الحدث المتوقع والحدث الداخلي للأحداث»[1].

سارت الأحداث بشكل طبيعي وكما هو مزعوم لها، إلا أنه حصل شيء غير متوقع لحصول المفارقة «ثم دفعت باب شقتي بكامل بدني، فسقطت المرأة التي كانت تتكئ عليه من الداخل، وتؤدي دور الحاجز المتين أرضا، خطوات إلى غرفتي بسرعة، أذهلني وضع الإمام الخمسيني الوقور وهو متمدد على سريري عاريا، ومن كانت بحجابها الأسود قد أصبح يضيق بجسدها المشحون قميص نوم أزرق»[2]. أصيب "السيد لا أحد" بخيبة في الرجل الصالح وفي الفتاة المحجبة وتناقضي الغاية من الرقية الشرعية فصارت وسيلة للفجور، عدم صدق الشيخ في عمله ونيته الخبيثة، فعاقبه بطرده من الشقة.

وهنالك العديد من الأحداث في هذه الرواية، ونقف عند نهاية القصة حيث تحولت الأحداث إلى مفارقات عجيبة حين تزوج الشخص "لا أحد" بالممرضة البدينة، وعندما فارق والد صديقه الحياة وتركه جثة في الشقة ليتحول من "لا أحد" إلى شخص تبحث عنه الشرطة بتهمه القتل، تكمن وظيفة هذا الصنف من المفارقة « فقد تكون سلاحا للهجوم الساخر، وقد تكون أشبه بستار رقيق عما وراءه من هزيمة الإنسان، وربما أدارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على عقب، وربما كانت المفارقة تهد إلى إخراج أحشاء قلب، الإنسان الضحية لنرى ما في ماضيه من مناقضات وتضاربات تثير الضحك»[3]. من هنا تم الحكم على المفارقة بأنها أداه للتهكم والسخرية، وكان القارئ ضحية لهذا النمط من المفارقة، وهذا ما لاحظناه في الرواية وفي الأمثلة المقدمة.

---

[1] نعيمة السعدية، شعرية المفارقة، ص08.

[2] أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، ص30.

[3] محمد العبد، المفارقة القرآنية، ص18.

خاتمة

بعد البحث عن أشكال المفارقة المستخدمة في ثنايا رواية "اختفاء السيد لا أحد" ووظيفتها الجمالية والتعبيرية تبين بأن الكاتب قد استخدم على الأقل خمسة أنواع مختلفة منها: المفارقة اللفظية، المفارقة الدرامية، المفارقة الرومانسية، المفارقة السردية، ومفارقة الموقف.

- تواجدت المفارقة اللفظية بوفرة في النص الروائي، وقد أضافت لمسة إيحائية وتلميحية صنعت جوا كوميديا أو غامضا، حيث أنها تحمل دلالات خفية ناتجة عن التضاد القائم بين الكلمات، وذلك لتعبر عن إشكاليات مجتمعية وسياسية.
- وظف الكاتب المفارقة الرومانسية بشكل أقل مقارنة بالمفارقات الأخرى، التي ساهمت في التلاعب بعقل القارئ بين ما هو واقعي وما هو خيالي.
- كان للمفارقة الدرامية حضور كثيف في الرواية، شكلت جوًا من التوتر والقلق على القارئ أرغمه على محاولة التنبؤ بالأحداث، ما أدى إلى صنع عنصر المفاجأة.
- وردت المفارقة السردية في الرواية أكثر من غيرها، مضيفة بعدا جماليا ودلالياً من خلال تقنيات الاسترجاع والاستباق التي ساهمت بدورها في التحكم في البنية الزمنية.
- لجأ الكاتب إلى استعمال مفارقة الموقف التي عرضت انتقال الشخصيات من حالة إلى أخرى وبينت الموقف الروائي في تناول المواضيع المختلفة لها.

وبهذا يبدو جليا كيف أضافت المفارقة إلى الرواية لمسة جمالية وفنية من خلال بناء أسلوب التهكم والسخرية، وكذا خلق نوع من الطرافة باعتبارها أداة تلطيفية، وقد حملت أشكال المفارقة رؤى وجودية وإنسانية، عبرت عن مواضيع اجتماعية وفلسفية، وأدت وظائف عديدة على مستوى النص الروائي فنيا ودلاليا، وعبرت بأسلوب إيحائي لإظهار الفساد والظلم الواقع في المجتمع.

1-المصادر والمراجع العربية:

1. إبراهيم أمين الزرزموني، تأويل الخطاب الشعري: النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010.
2. ابن الفارس، مقاييس اللغة، ج4، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر،ط2، بيروت، 1999.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط2، بيروت، 1997.
4. أبو القاسم الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ج2، تح: محمد باسل عيون سود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1988.
5. أحمد طيباوي، اختفاء السيد لا أحد، منشورات الضفاف، ط1، لبنان، 2019.
6. أحمد عادل عبد المولى، بناء المفارقة: دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الأدب، ط1، القاهرة، 2010.
7. أحمد محمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار الدارس، ط1، الأردن، 2004.
8. بسام بركة، مانيو قويدر، هاشم الأيوبي، مبادئ تحليل النصوص الأدبية، مكتبة لبنان،ط1 ، بيروت، 2002.
9. حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991.
10. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، (د.ط)،القاهرة، 2004.
11. الصحاح الجوهري، إسماعيل بن حماد، دار الحضارة العربية، ط1، بيروت، 1974.
12. قيس حمزة الخفاجي، المفارقة في شعر الرواد، دار الأرقام، ط1، بابل، 2007.

13. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية: عربي، إنجليزي، فرنسي، دار النهار، ط1، بيروت، 2002.

14. مجموعة من الباحثين، أوراق فلسفية، تح: سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2012.

15. محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1994.

16. نجلاء علي حسين الوقاد، بناء المفارقة في فن المقامات عند بديع الزمان الهمذاني والحريري، مكتبة الأدب، (د.ط)، القاهرة، 2006.

17. يمنى العيد، فن الرواية العربية، دار الأدب، (د.ط)، بيروت، 2011.

2-المراجع المترجمة:

1. جيرار جينيت، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، ج1، تر: محمد معتصم، منشورات الاختلاف، ط2، مصر، 1997.

2. دسي ميويك، المفارقة وصفاتها، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون،ط1، بغداد، 1997.

3. سيمغويد فرويد، التحليل النفسي للهيستيريا حالة دورا، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط1، بيروت،1981.

3-المجلات والمقالات:

1. الحويطات مفلح، المفارقة في رواية ليلة عسل لمؤنس الرازي، مجلة جامعة النجاح للعلوم الإنسانية، مج28،الجامعة الاردنية، الأردن، ع 2،2014.

2. خالد سليمان، نظرية المفارقة، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد9، الأردن، 1991.

3. عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، الهيئة المصري العامة للكتاب، ع02، 1993.

4. علي نجاة، مفهوم المفارقة في النقد الغربي، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، عدد 53، 2008.

5. مصلح النجار، عوني الفاعوري، المفارقة في شعر عرار، مجلة الدراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، العدد 1، 2007.

6. نعيمة السعدية، شعرية المفارقة بين الابداع والتلقي، جامعة بسكرة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع1، 2007.

4-المواقع الالكترونية:

1. موقع ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org

التعريف بالكاتب أحمد طيباوي:

أحمد طيباوي[1] (مواليد 8 يناير 1980 بعين بوسيف في ولاية المدية)، هو كاتب روائي جزائري وأستاذ بجامعة فرحات عباس، حاصل على دكتوراه في إدارة الأعمال من جامعة البليدة في أبريل 2016. فاز بجائزة نجيب محفوظ للأدب لعام 2021 عن روايته «**اختفاء السيد لا أحد**». أحمد الطيباوي عند التتويج بجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي.

- **مساره الفني:**

نال أحمد جائزة رئيس الجمهورية للمبدعين الشباب (علي معاشي) في يونيو 2011 عن باكورة أعماله الروائية المقام العالي. الصادرة عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر ENAG. كما صدرت له في صيف عام 2014 رواية موت ناعم عن منشورات الاختلاف بالجزائر ومنشورات ضفاف ببيروت، وهي الرواية المتوجة بإحدى جوائز الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي بالخرطوم في دورتها الرابعة في شباط من العام 2014. وقد جاء في قراءة لها على صفحات جريدة الأخبار ليوم 11 يوليو 2015 بأنه يصعب على القارئ تفادي الوقوع في غوايةِ شاعريتها مهما استعصم، لكنه سيخرجُ منها أيضاً وقد نفض عنه عباءة تلكَ الشاعرية مُحمّلاً بشعورٍ بالاغتراب. شعور يبعثه التماهي مع الأنثى/الساردة التي عجزت عن تحرير ذاتها في مجتمع سلطوي ذكوري، لكنها نجحت في تحرير اللّغة من قوانينها المعيارية.

وفي شهر أغسطس 2015، صدر له عن منشورات الاختلاف وضفاف أيضا رواية مذكرات من وطن آخر. وهي رواية، كما ورد في صحيفة الخبر، تقدم ملامح وصور الذوات في مرايا بعضها البعض، إذ يبدأ الراوي، وهو ذات تبحث عن صورة مثلى تشبهها، سرد قصة صديقه التي هي انحدار يكاد لا ينتهي، محاولا التطهر، بالاستجابة لطلبه، من خطايا ارتكبها في حق صديقه ذاك

[1] سيرة الكاتب منقولة من موقع ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org

وأدت إلى انتهاء صداقتهما، لكنه يجد نفسه يحكي قصته هو، بما أنه قد تعسّر عليه السرد المفرد لذوات هي في الأصل متداخلة، ومعها وطن حاضر وصورة غائبة له تنشدها مثاليته. وينتهي إلى أن التماهي ما بين الثنائيات والذوات، وفي الوقت نفسه التناقض الواقع فيما بينها، لا يستقيم لقلمه ويعجزه أحيانا عن مواصلة خوضه في غمار البياض المتهم بالبراءة. وينتهي عجز الثنائيات عن التعايش داخل ذات الراوي القلقة إلى تعسر فعل التدوين عليه، ويفكر في التوقف النهائي عنه، لكنه مع ذلك يخوض تحدي رسم المسارات وتقفي أثر الملامح على وجوه الحياة التي تنعكس على الشخصيات، لتبقى صورته وصورة صديقه ومعهما صورة الوطن معلقة ما بين مثال وواقع يناقضه، وبين حقيقة وظل لا يشبهها أبدا ، وعن هذه الرواية كتب الروائي إسماعيل يبرير بأن أحمد طيباوي يفتش في مذكرات من وطن آخر عن معنى الانتماء، يقارب من خلال نصه الذي جاء على شكل خطاب أو اعتراف مفاهيم الغربة والوفاء والحب. وقالت الدكتورة صورية غجاتي عن رواية مذكّرات من وطنٍ آخر بأنها انفتحت على السّرد الما بعد حداثي كما تجلى في التجربة الروائية الأنجلو – أمريكية، وذلك بتوظيفها لآلية من أهمّ آلياته وهي (الميتاروائي/Métafiction) مُتمثّلةً فيما أسماه الناقد المغربي سعيد يقطين ب (حضور بنية الخطاب النقدي) في الرواية.

- **أعماله:**

- لمقام العالي.
- موت ناعم.
- مذكرات من وطن آخر.
- البياض المتهم بالبراءة.
- اختفاء السيد لا أحد.

- **الجوائز:**

- 2021- جائزة نجيب محفوظ للأدب لعام 2021 عن روايته "اختفاء السيد لا أحد".
- 2014- جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي عن روايته "موت ناعم".
- 2011- جائزة رئيس الجمهورية للمبدعين الشباب (علي معاشي) عن رواية «المقام العالي».

2-ملخص رواية "اختفاء السيد لا أحد":

تبدأ الرواية سردا على لسان شخصية من شخصيات الرواية غير معروف الاسم، يلقب نفسه ب "لا أحد" وحتى الاخرين يدعونه ب "السيد لا أحد". تمثلت أول أجزاء الرواية في سرد بعض أحداث من الماضي و الحاضر "السيد لا أحد"، حيث تمثل ماضيه في أنه ولد وله أخ على حسب ما يذكر في مكان يسمى ب سرج الغول، حصل له حادث في الماضي بذلك المكان في الغابة إذ تم خطفه وقد كان بعمر طالب ثانوية آنذاك، والذي أنقذه كان مجرد رجل من الذين خطفوه حين انتبه أنه فتى من قريته. "السيد لا أحد" لا يتذكر أمه ولا أباه حيث توفى كلاهما وهو بعمر صغير اعتنت به خالته، وبعد وفاتها قامت برعايته زوجة عمه، وهذه الأخيرة توفيت بدورها.

وذلك ما دفعه إلى الرحيل إلى الأبد عن أخيه عمار وعن كل أقربائه، فنجده يصف نفسه بأنه شخص ملعون كل من يحبه يموت، ليعيش حياة التشرد رغم أنه حاصل على درجة باكالوريا، أولا عاش مشردا ثم انتقل الى مستشفى المجانين.. أين تم إطلاق سراحه بعدها بمساعدة الممرضة التي وقعت بحبه، وبعدها تعرف إلى شخص يسمى مراد وأصبحا صديقين، تستمر صداقتهما.

يقرر صديقه الهجرة إلى ألمانيا لكن يترك له أباه المصاب بالخرف، ويعرض عليه صفقة الاعتناء به مقابل أن يعطيه شقة بدل حياة التشرد، ظل "السيد لا أحد" هناك يعتني بالشيخ والد

مراد حتى وفاته، حينها يقرر الرحيل مجددا تاركا خلفه شخصيات كنا نراها سطحية، ليتحول السرد بعدها لهذه الشخصيات وقصصهم، ثم يتابع السرد إلى ضابط الشرطة رفيق الناصري يتكلم عن حياته ومعاناته في زواجه بمنيرة أستاذة مرحلة الابتدائية، فيطلقها لسبب أنها لم تلد طفلا له، وبعدها يلتقي "بهدى" طبيبة في مستشفى وامرأة تلعب الشطرنج توفي زوجها ولها ابن منه، يقع في حبها فتبادله نفس الشعور، لكن بمجرد أن يكشف ضابط الشرطة لها أنه يريدها منها تنجب له، تتشاجر معه و يرحل مجروحا و بصمت.

ثم يستحضر الراوي قصة الإمام شيخ المسجد، حيث أنه أراد أن تنجب له امرأة ابنا، ولم يجد فقام اتفق مع عجوز رئيسة دعارة بالمنطقة واتفق معها أن تعطيه امرأة و بمجرد أن تحمل منه سيتزوجها هكذا كانت خطته، أما شخصية "مبارك طهراوي" المعروف بصاحب المقهى "عمي مبارك" ، قصته أنه كان متزوجا وله خمس بنات ، طلقته امرأته على حجة أنه بخيل وحرمها من حياتها، وحين طلقته تزوجت برجل ذو مرتبة رفيعة وتعلمت السياقة وحققت أحلامها ، وأما هو بقي لوحده حاقدا عليها، و بناته اللاتي زرنه فإنه ألقى باللوم عليهن، ولم يعد يراهن سوى نسخة عنها، بالأخير تعثر عليه الشرطة مقتولا بسلك معدني بمقبرة ووجهه مشوه بماء البطاريات.

يتابع السارد الحديث عن شخصية أخرى وهي "جلال الأعمش" حارس المقبرة رجل في الخمسين، كان قد دخل مع "السيد لا أحد" و "عمي مبارك" في خطة لنهب القبور والبحث عن الذهب الذي دفن مع الموتى.. انتحر بالأخير برمي نفسه أمام القطار، ففي الأخير نجد أنفسنا مع الطبيبة التي تزوجها "رفيق ناصري".. وبينما هي تبحث عن زوجها بكل مكان بعد أن اختفى بعد آخر شجار لهما، تبحث مطولا عنه وتمر الأيام حتى تفقد الأمل تقريبا عن إيجاده، لتتلقى دعوة من صديقتها الممرضة لحضور زفافها. تذهب إلى الزفاف وتتفاجأ بالأخير بمنظر زوجها، ومما فهمناه

أن "السيد لا أحد" هو توأم رفيق الناصري، أي رفيق ناصري هو أخوه الذي تحدث عنه، ولعله السبب الذي دفع رفيق الناصري للبحث عنه بعزيمة، ولا شك أن هدى ظنت أن رفيق الناصري زوجها تزوج عليها بتلك اللحظة بينما الأمر ليس كذلك.

مقدمة 4

الفصل الأول: مفهوم المفارقة: عناصرها وأنواعها 7

1- تعريف المفارقة 7

2-عناصر المفارقة، وظيفتها، وخصائصها 11

3-أنواع المفارقة 14

الفصل الثاني: أشكال المفارقة في رواية "اختفاء السيد لا أحمد" 26

1- المفارقة اللفظية 26

2- المفارقة الرومانسية 33

3- المفارقة الدرامية 36

4- المفارقة السردية 44

5- مفارقة الموقف **57**

خاتمة 61

قائمة المصادر والمراجع 62

ملحق: تعريف الكاتب وملخص الرواية 65

فهرس المحتويات 70